العدد التاسع من السنة الرابعة — رمضان سنة ١٣٦٢ — سبتمبر سنة ١٩٤٣

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

	صفحة
رسالة الملك	٣
النشاط الاجتماعى لوزارة الشؤون	٤
أثر الصيام فى الصحة للدكتور سليمان عزمى باشا	٧
مشروع مكافحة الأمية	١٠
أمثلة قريبة	١٣
فى صميم الريف للأستاذ سيد قطب	١٩
الشعب والحكومة فى الاصلاح للأستاذ حسن الشريف	٢٤
معركة النظافة	٣٠
من أسس العمران للأستاذ فايد العمروسى	٣٣
مسئولية الرجل قبل الزواج وبعده للكاتبة زينب محمد حسين	٤٢
فى المدرسة الريفية الأستاذ محمد عبد الكريم	٤٨
العواطف الفاسدة للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم	٥٥
النفاق الاجتماعى للأستاذ عيسى متولى	٥٩
نموذج لأندية العمال	٦٢
تسعيرة العلم	٦٥
ملاحظات عابرة	٦٨
ثمن الشهرة (قصة اجتماعية)	٧١

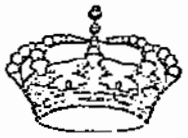

رسالة الملك

الى خريجى الجامعات والمعاهد

الذين نالوا شرف ضيافته الملكية

أحييكم ياشباب العلم، ياخريجى الجامعات والمعاهد، أحيي فتاتكم وأحيي فتاكم. إنى لأشعر بالغبطة تغمر نفسى إذ أراكم تحفون بعرشى ، وتحيطون تاجى بهالة من علمكم وشبابكم . وإن عرشا، وإن تاجا، يحف بهما العلم والشباب ، لعرش وتاج جديران بمصر ، مصر التى كانت ، ومصر التى ستكون .

أما مصر التى كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها ، والتغنى بمآثرها ، وأما مصر التى ستكون فأنتم المسئولون عنها، وانها لأمانة فى أعناقكم، فلاتجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من أنشودته فى أجدادكم .

لقد أردت بهـذا الاجتماع أن تلمسوا من قرب حبى لكم ، وتقديرى للعلم فى أشخاصكم ، وأن تحيوا باسمى زملاءكم الذين تواضع بهم حظهم بجاءوا بعـدكم فى ترتيب النجاح ، وأن تبلغوهم اعترازى بنجاحهم ونجاحكم ، فإن كل إجازة علمية جديدة تعد نجما ساطعا فى سماء بلادى .

أنتم حملة المشاعل، وكثيرون ينتظرون الضوء الذى تحملون ليهتدوا به فى طريق الحياة ، فلا تطيلوا انتظارهم ، وانفعوا بعلمكم وانتفعوا . وليكن لكم من دينكم ووطنيتكم ، وإيمانكم وأمانتكم، حصانة تقيكم من الزلل .

ارفعوا المشاعل فوق الطريق ، ولا تجعلوها نارا تحرق ، بل اجعلوها نورا يضيء. وعلى بركة الله سيروا فى طريقكم ، وهذه يدى فى أيديكم ، تساهم فى العمل معكم . يد قوية ، لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شاب ، ولكن لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته .

فلنؤمن جميعا بمصر ، فإنها كأمانة الله ، ولنعمل لها ، وسيرى الله أعمالنا ، ويباركها .

قصر عابدين فى ١٥ شعبان سنة ١٣٦٢ (١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣)

النشاط الاجتماعى

لوزارة الشؤون الاجتماعية

حماية الأسرة ، إسقاط الولاية ، نهضة التعاون

تنال الأسرة فى هذه الأيام من عناية وزارة الشؤون الاجتماعية ما تستحقه الدعامة الأولى فى بناء المجتمع من الاهتمام . وتتجه الأفكار بشدة إلى حمايتها من التحطم بسبب الطلاق الذى شرعه الدين اتقاء للضرر حين لا يكون هناك منه مفر فاستغله الكثيرون تلبية للنزوات الطارئة وتحقيقا للذات المطلوبة .

وقد التقى رأى الدين مع رأى الاجتماع فى اللجنة التى درست مشروع قانون الطلاق المزمع ، وفى الدين مرونة وفسحة تلتقيان مع أحكام الزمان وضرورات المجتمع فى كثير من الأحيان وإن الطلاق لأبغض الحلال عند الله فالإسراف فيه مخالفة لروح الدين بلا نزاع .

ولكننا نحب أن يتجه التفكير فى حماية الأسرة الى آفاق أخرى كذلك بجانب حمايتها من الطلاق . ومن أهم ما تجب حمايتها منه العوز وفقدان العائل أو عجزه عن الانفاق .

ذلك ان العوز بسبب البطالة أو بسبب قلة الأجر وفقدان العائل أو عجزه بسبب الموت أو المرض أو الشيخوخة ، كل أولئك يحطم من بنيان الأسرة ما يحطم الطلاق وزيادة. وإنه ليكفى أن نعلم شيئا عن منبع المتسولين والمشردين والمفسودين والشذاذ من الغلمان والبنات لنعلم أن هذه الآفات تشترك مع الطلاق اشتراكا فعليا فى تقويض بناء الأسرة وفى تبديد أطفالها وبناتها فى الطرقات .

ولم تقصر وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا ، فقد صدر الأمر العسكرى برفع الأجور كما شرع قانون التأمين ضد العجز وضد الشيخوخة ، ومن قبل صدر قانون التأمين ضد إصابات العمل وهى كلها حلقات فى ضمانة رزق العامل ورزق أولاده فى حياته أو بعد وفاته إلى حد ما .

ولكن ينبغى أن ننبه الى أن سنّ التشريعات وإصدار الأوامر لا يكفيان وحدهما لتحقيق تلك التشريعات وتنفيذ هذه الأوامر . فأصحاب الأعمال ودوائر العمل لا يتقبلون بسهولة هذه التكاليف الاجتماعية التى لم يألفوها ، فلا بد إذن من الرقابة الشديدة الحازمة ، والرقابة فى حاجة الى موظفين ومفتشين ، وهؤلاء فيما نعلم لا يزال عددهم قليلا جدا بالقياس الى المهمة الملقاة على عاتقهم فى طول البلاد .

فيجب ألا تقف الميزانية أو أى مانع آخر دون توافر العدد اللازم من هؤلاء الموظفين والمفتشين الذين ينهضون بأدق أنواع الرقابة على تنفيذ القوانين والأوامر ، وإلا بقيت حبرا على ورق وضاع التعب الذى بذل فى بحثها وصياغتها وإصدارها ليعمل بها فى الحياة العملية لا فى المضابط الرسمية .

ولقد عنينا أن نتصل ببعض مكاتب العمل فى الأقاليم ، فعلمنا منها أن الرقابة غير كافية وغير ممكنة لقلة عدد المفتشين من ناحية ، ولأن بعضهم لم يتدرب التدريب الكافى على هذا العمل من ناحية أخرى . فأما التدريب فيأتى مع الزمن وإن كان من الممكن أن يدقق من أول الأمر فى الاختيار . وأما قلة العدد فهذه هى التى نوجه اليها النظر للعمل على تلافيها بقدر الإمكان .

ومما تفكر فيه وزارة الشؤون الاجتماعية ويتصل بمسألة حماية الاسرة "إسقاط الولاية" فقد اتضح من بعض الأبحاث عن حالة الأطفال المشردين ، أن للكثيرين منهم أهلا ، وأن أهلهم يسرحونهم فى الطرقات للتسول أو جمع أعقاب السجاير أو النشل والسرقة ، أو يهملونهم فتلتقطهم عصابات الأطفال وتستخدمهم هذا الاستخدام ؛ فإذا قبض البوليس على هؤلاء الأطفال جاء أهلهم فاستردوهم بحكم ما لهم من حق الولاية عليهم ، ثم أطلقوهم من جديد ليعودوا سيرتهم الأولى .

وبعض هؤلاء الأهل قد يكونون معذورين فى تصرفهم هذا بسبب الفقر الشنيع الذى يضطرهم لاستغلال أولادهم هذا الاستغلال البشع ، ولكن الكثيرين منهم مجرمون أو شواذ يحنون على أنفسهم وعلى أولادهم أشنع الجنايات .

فيجب إذن أن نفرق عند سن تشريع "إسقاط الولاية" بين هذين النوعين من الأهل فلكل منهما علاج .

فاما الفريق الأول فيجب أن نبقى له حقه فى الولاية على أولاده ، وأن نساعده مساعدة اجتماعية من أى نوع سواء عن طريق مد أسباب الرزق الشريف له بالعمل — وهو الأفضل — أو عن طريق مده بالمساعدات المادية المنتظمة على طريقة المكاتب الاجتماعية مع العناية بتشغيل أولاده أو إعدادهم للحياة بأى شكل كان .

وأما الفريق الثانى فيجب أن ننتزع منه الأطفال الأبرياء لنعزلهم فى مكان مأمون يجدون فيه إعدادا صالحا للحياة البريئة الشريفة فى مقبل الأيام .

والمشكلة فى جميعها هى "مشكلة الطفولة المشردة" التى نجهد أنفسنا فى حلها ، ولكننا لا نسلك لها الطريق الوحيد الصحيح ، وهو طريق الاحصاء والدراسة : إحصاء

المشردين فى كل مكان ، ودراسة حالة كل فريق منهم لمعرفة أسباب تشريده معرفة دقيقة صحيحة ، ثم اقتراح العلاج بعد ذلك على أساس تشخيص الداء لكل فريق منهم على السواء .

و إننا لنقرأ بين الحين والحين أن البوليس قد أصدر أمرا بتعقب الغلمان المشردين وتطهير الطرقات منهم ! ولكن إلى أين ؟ إن هؤلاء الغلمان ظاهرة من ظواهر المرض وليسوا هم منبع المرض ، وما تأتى مطاردتهم من مكان إلى مكان بأية نتيجة إذا نحن أهملنا المنابع التى يأتون منها ، وتتبعنا المصب الذى ينتهون إليه .

فوفروا الجهد الذى يبذل فى المطاردة لينفق فى الاحصاء والدراسة والتصنيف ، وفى اقتراح الحلول العملية على أساس الواقع المدروس ، لا على أساس النظريات والتخمينات فى أسباب التشريد وفى علاج المشردين .

وتنشط وزارة الشؤون الاجتماعية — فى هـذه الأيام — للاهتمام بنشر التعاون فى كل مكان . ونعتقد أن هذا الوقت هو أنسب الأوقات لنجاح التعاون ، الذى ظل يصارع العوامل المثبطة فى البيئة والعادة منذ خمسة وثلاثين عاما .

فحالة الغلاء الفظيع ، وجشع التجار فى السوق السوداء ، وقلة السلع واختفاؤها من السوق ، كل هذه عوامل مشجعة على التعاون ، مساعدة لنموه و إقبال الناس عليه .

ولكن هناك أشياء يصح الانتباه اليها وهى مما يؤسف له حقا ، فقد علمنا عن حوادث ثبت فيها أن بعض المشتركين فى جمعيات التعاون قد سمحوا لأنفسهم أن يتخذهم التجار الجشعون أداة للعبث بالغرض الأسمى من هـذه الجمعيات . ذلك أنهم راحوا يشترون من الجمعيات بحكم عضويتهم و يسلمون ما يشترونه للتجار الجشعين ليبيعوه مرة أخرى بالأثمان المرتفعة .

وهذه جريمة فى حق التعاون يجب أن تفرض عليها العقوبة الصارمة ، وأن تتخذ ضدها الاحتياطات الشديدة حتى لا تتكرر هـذه الحوادث ، وحتى لا يضيع الغرض الأول من جمعيات التعاون ، وحتى لا يتعرض الناس من جديد لجشع التجار المنحطين .

و لجريمة التهريب هذه دلالة نفسية خطرة يجب الانتباه اليها . ذلك أن التعاون ليس عميق الأثر فى النفس المصرية . وهو لهذا فى حاجة الى جهد والى دأب والى عناية ، حتى ترسخ قواعده فى النفوس ، وحتى يصبح عادة ليس لها تمهيد نفسى سابق فى النفس المصرية .

ولعل هذا هو السبب الذى جعل التعاون فى مصر يعانى ما يعانيه مدى خمسة وثلاثين عاما وفهم الظواهر النفسية مفيد فى العلاج على أساس من التشخيص الصحيح .

أثر الصيام فى الصحة

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا

عميد كلية الطب

فرض الصيام فى كل دين . ولا يمكننى أن أصدق أنه فرض لمجرد حرمان الانسان من الأكل أو الشرب ، بل فرض لحكمة ، فأخذ المفكرون يبحثون عن هذه الحكمة ، وذهبت كل طائفة تلقى بتفسيرها ، وتدلى ببراهينها . فلمست فيما لمست ناحيته الصحية وفوائده الطبية . وهذا موضوع حديثى .

وإنها لفرصة طيبة فى هذا العصر الذى تقدمت فيه أبحاث علم النفس ، وفى هذه الفترة من التاريخ التى اضطرب فيها العالم واضطربت أعصاب أفراده ، أن أذكر طرفا يلمسه الطبيب من فوائد الصيام والتعبد على وجه العموم . من التأثير النفسانى أو الروحانى ، وما يتبع ذلك مما يشبه الإيحاء الذاتى . فالصائم المتعبد يذكره الصيام دائما بكل ما فرضه الدين من فعل الخير وطهارة التفكير ، بقلب مخلص مفعم بالإيمان للعبرة والاتعاظ ، فيرجع إلى ربه مستعينا به ليحميه من الذنوب والخطايا ، ويسمو بتفكيره إلى التقرب من الله بفعل الخير . والابتعاد عن الشرور والآثام ، فتتخلص روحه من مشاغل الدنيا فترة ما . يلهمه الله فيها العزم على السير فى طريق الهداية ، ويستجيب بذلك دعوته فى فاتحة الكتاب : " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " .

لذا سمى البعض الصيام رياضة الروح أو بتعبير الأطباء علاج النفس ، فهو يجيع المعدة ليشبع الروح ، ويذكى النفس ، ويسمو بها لكى لا يعلق الإنسان كل آماله على إشباع شهواته وسعادته الجسمية ، بل ليرتفع إلى ذروة الإيمان ، وتزيد ثقته بالله ، فتسعد حياته الروحية .

نرى ذلك مجسما ومركزا فى صيام رمضان حسبما شرع له وحسبما جرت عليه التقاليد . ففيه تلقى الدروس الدينية والعظات ، فى المساجد والمجتمعات وفى الإذاعة اللاسلكية ، بل وفى الزيارات والسهرات الخصوصية . ففى هذا الشهر نرى ثلاثة أرباع أحاديث الناس عن الصوم والتقى والتعبد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحث على البر والخير ، واستهجان الشر والإثم والعدوان والإضرار بالناس . فيحدث جو مشبع بالإيمان والعظة والقول الطيب ، فيؤثر فى النفس ويكبح جماح النفوس الشاردة ويردها إلى حظيرة الخير والإيمان .

فيهجر الخاطئون طريق الضلالة، ويقلع المدمنون عن عاداتهم . وينسى ذوو الأمراض العصبية والأوهام أمراضهم — وفى كثير من الأحيان تكون توبة نصوحا لارجعة فيها كما شاهدت ذلك مرارا عديدة — وهنا تتجلى فضيلة انتصار المرء بمحض إرادته على الشهوات والآلام الوهمية المتسلطة عليه فقد درب الصيام على الحرمان أو بعضه ، كما درب على مقاومة النزعات الخاطئة والمضرة به ، فتزيد قوة إرادته فتعينه على ترك ما كان فيه .

أما من أجاع الجسم ولم يمنه النفس عن الهوى فليس من الصائمين .

إذا اتبع فى الصوم ما ذكرنا تصبح النفس مطمئنة تفكر فى مآلها بالرضاء . لارضاء المستكن الخامل البائس ضعيف الإرادة ميت العواطف ، بل رضاء النفس المطمئنة التى قال عنها سبحانه وتعالى :

« يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

إننى أحب المتدين ولكن أكره المتنطع فى الدين أى المغالى فى عبادته بما يحجه العقل والذوق السليم .

خذ المحموم مثلا الذى تتراوح حرارته بين ٣٩ و ٤٠ درجة والذى يحتاج للشرب على فترات فتزداد إفرازاته ويخالف تعاليم الطبيب ويصوم فيلحق بصحته ضررا بالغا والله تعالى يقول: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» وهذا أمر لا يرضى عنه الرحمن الرحيم الذى كتب على نفسه الرحمة.

جاهرت مرارا بأن الصوم غير مضر بالصحة كما جاهرت بأن الطريقة التى يصوم بها أغلب الناس غير صحية .

فامتلاء المعدة دفعة واحدة بكمية كبيرة من الغذاء المختلف الألوان وكثرة شرب الماء مع أكل المواد الحريفة، والحراقة، والدسم، والعطارة، مضر بالصحة بلا مراء. فمن ساء هضمه أو فسدت معدته أو اضطربت أمعاؤه أو كبده فى رمضان ، فلا يلق الذنب جزافا على الصيام وإنما الذنب هو على طريقة الإفطار .

والصيام بهذا الشكل ليس فيه الحكمة المقصودة من الصيام بحرمان الصائم من الطعام أو بعضه . فالصوم يذل الجسم ويقوى الحالة النفسية فيعينها لكى لا تتغلب النزعات الفطرية على سلوك الإنسان فى حياته وتفكيره . لذا نرى ترك العنان للصائم ليأكل كل ما يشاء فى الإفطار وبأى كمية أراد، يبعدنا عن هذا الغرض، فيجب أن يشعر الصائم أنه هبط إلى مستوى الفقير فى حالته الغذائية فيعرفها ليشفق عليه . فإذا ما اكتظت المائدة بألوان الطعام بعدنا عن الغرض الرئيسى للصيام وفسدت صحتنا .

أنا أشير أن يكون الإفطار على كمية قليلة من السوائل والثمار، وبعد نحو ساعتين أى إلى ما بعد صلاة العشاء، يكون الغذاء الرئيسى مع الاعتدال فى كميته، ونوعه، والامتناع عن المواد الحراقة والحريفة والحادقة، وأنبه بصفة خاصة إلى أن شرب الماء بكثرة على الطعام مضر بالصائم وبغير الصائم — وكثرة الشرب ما هى إلا مجرد عادة، لا ضرورة، ومع ضررها الزائد فهى للأسف منتشرة جدا بين كل الطبقات. ويجب أن يقتصر السحور على أشياء بسيطة. بهذا يستفيد الصائم ويتخلص الجسم فى فترة النهار من كثير من السموم الغذائية المتراكمة فيه فتصح الأبدان ويفهم معنى الحديث الشريف "صوموا تصحوا وتغنموا". مما لاشك فيه أن الأيام الأولى للصوم متعبة للصائم وبعدها يتعود الجسم على الجوع فى بضعة أيام، إذ تتدرب أعضاء الجسم المختلفة، وتتكيف فى القيام بوظائفها فى ظروف الصيام.

إن الوهم من الجوع والعطش أكثر تأثيرا على نفسية الصائم من الحقيقة. أذكر فى هذه المناسبة أننا فى مصر نشكو من سوء التغذية، وسببها عند الأغنياء يرجع إلى زيادتها، وعند الفقراء إلى نقصها المعيب.

فليفرض الأغنياء أن هذا هو شهر حمية وزهد ويعتدلوا فى مأكلهم ليصلحوا ما أفسدته زيادة التغذية فى صحتهم.

وأما الصوم الذى يصفه الأطباء فهو نوع من أنواع الحمية القاسية حسبما تتطلبه أصول العلاج، تقصد بها صحة الأجسام، فللجسم فيها الاعتبار الأول. وأما الصيام فى الأديان فللروح فيه أهمية عظيمة. ومما لاشك فيه أن الانسان الذى تعود الصيام فى صحته يتحمل برضاء وطيب نفس أى ضرب من ضروب الحمية إذا ما مرض. وهذه ناحية من نواحى تدريب النفس على الجوع والعطش لكى يتحملهما الانسان إذا ما أرغمته الظروف.

هنالك فائدة للعصبيين المشتغلين دائما بأهوائهم وبأجسامهم، فإنهم بالصيام يتعودون على نسيان الجسم، ويتدربون على ترك الأوهام، فتسمو نفوسهم ويتغلب اهتمامهم بروحهم على اهتمامهم بأجسامهم وتدب فيهم روح الإيمان والثقة بالنفس وحب الحياة.

فليكن شهر رمضان شهر زهد وتعبد، وبر بالفقراء والبائسين، وصون للمعدة واللسان والقلب وتطهير للجسد والروح.

وهكذا يدور الفلك دورته، وتعود الأيام للعبرة والاتعاظ وتجديد العهود — فذكر إن نفعت الذكرى.

الدكتور سليمان عزمى

مشروع مكافحة الأمية

من وحى الديمقراطية الحقيقية

أرسل معالى وزير الشؤون الاجتماعية صيحته المدوية لمكافحة الأمية فى الأوساط الشعبية ، ثم انتهى بالفكرة الى أياد خبيرة مجربة تفحص عنها وتقلبها على وجوهها ، وتحيلها مشروعا عمليا قابلا للتنفيذ ، بعد أن كانت نداء وجدانيا فى عالم النظريات .

هذا المشروع من إيحاء الديمقراطية الصميمة ولا شك ، فإنه ليصعب تصور الديمقراطية فى العصر الحديث مقترنة بالأمية والجهل ، فالديمقراطية فى صميمها من الناحية السياسية معناها إشراف الشعب على توجيه السياسة العامة واختيار ممثليه فى البرلمان على أساس القيام بهذا التوجيه ، ولن يستطيع شعب أمى جاهل أن يحسن اختيار ممثليه كما أنه لا يستطيع القيام بتوجيه السياسة العامة لعدم إلمامه بالسياسة العامة .

فإذا اتجهت همة وزير الشؤون الاجتماعية الى القضاء على هذه الأمية ، فهذا معناه تحقيق المعنى الأول للديمقراطية السياسية ، وتمكين أسس هذه الديمقراطية فى البلاد ، وذلك ولا شك عمل من الأعمال العظيمة وحين يتم ستشعر البلاد بقيمته العملية أكثر مما تحس بها الآن فى عالم النظريات .

ثم ننظر الى المسألة من ناحية الديمقراطية الاجتماعية فنرى أنه يصعب كذلك تصور هذه الديمقراطية فى العصر الحديث مقترنة بالجهل والأمية . فالديمقراطية فى صميمها من الناحية الاجتماعية ، معناها إتاحة فرص العمل والنجاح فى الحياة للجميع . ولن يقول أحد إن هذا الرجل الأمى الجاهل تتاح له الفرص للعمل وللنجاح فى الحياة كما تتاح لسواه .

وستبقى الديمقراطية الاجتماعية إذن ديمقراطية نظرية ، حتى يتحقق هذا المشروع العظيم الذى يزود الملايين بشىء من أسلحة العلم الضرورى ، يكافحون به فى الحياة ، ويحاولون أن ينجحوا فى هذا الكفاح بفضل هذا السلاح .

والديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية لا تتحققان الا بديمقراطية اقتصادية والتعليم يمهد لهذه الديمقراطية الأخيرة خير تمهيد ، ذلك أنه يزيد مقدرة الأفراد على الكسب وإنماء الثروة الى حد معقول ، فهو من هذه الناحية تكملة لمعنى آخر من معانى الديمقراطية لا تتحقق بدونه فى عالم الواقع العملى المحسوس .

لمثل هذه المعانى نصف مشروع مكافحة الأمية الشعبية بأنه مشروع عظيم ، ولكنه يحمل معانى أخرى ويحقق أهدافا شتى ، شخصية لهؤلاء الأميين ، وقومية لهذه البلاد .

فأما الأهداف الشخصية — عدا ما ذكر من إتاحة فرص النجاح والمقدرة على الكسب — فإننا نذكر منها مكافحة أسباب المرض ، والذين زاروا الريف أو عاشوا فيه يدركون أن كثيرا من أسباب المرض يرجع إلى الجهل بوسائل الوقاية وبضرورة العلاج فى وقته ، وإذا كان الفقر هو الذى يعوق الكثيرين عن هذه وتلك فإن الجهل يعاونه ، وقد يقعد بالقادرين أيضا ويعوقهم عن الأخذ بوسائل العلاج .

ونذكر كذلك من هـذه الأهداف رقى الزراعة والصناعة . فاليد الجاهلة لا تحسن القيام بالعمل كما تحسنه اليد المثقفة ، والفرصة أمام المتعلمين واسعة للتجديد والاقتباس ، أو على الأقل للانتفاع بالنصح والإرشاد ، بعكس الأميين الذين قد يضرون فلاحتهم وزراعتهم بإهمالهم لكل نصح وإرشاد .

وأما الأهداف القومية فنجدها واضحة فى هذا المشروع العظيم إذا فهمنا أن كل نجاح شخصى فى عالم الزراعة أو الصناعة هو نجاح قومى لا شك فيه وزيادة للثروة القومية لا شك فيها . ولكنها نجدها أوضح وأظهر حين ننظر إلى المستقبل ، فنراه قائما على الكفاح الاقتصادى فى العالم ، هذا الكفاح الذى يحتاج إلى تجميع القوى الشعبية كلها فى الميدان وفى مقدمتها العلم والصحة .

كل أمة مريضة أو جاهلة لن تفوز فى هذا الصراع العالمى الجبار . والمنتظر أن تصبح مصر ميدانا للاستغلال الاقتصادى الهائل ، فيجب أن يستعد شعب مصر للمساهمة فى هذا الاستغلال والانتفاع به إلى أقصى حدود الانتفاع . ولن يكون مستعدا إلا إذا كان متعلما سليم البنية ، بجميع المشروعات التى ترمى إلى تحقيق هذين الغرضين ترمى فى الوقت ذاته إلى تحقيق الرخاء القومى والسيادة الاقتصادية فى مقبل الأيام .

* * *

وقد حاول بعض من كتبوا عن هذا المشروع فى الصحف اليومية والأسبوعية أن يوجهوا تنفيذ المشروع توجيها نظريا نخشى أن يكون هو الأساس الذى يبنى عليه التنفيذ . ففى فورة الحماسة للمشروع — والمشروع يثير الحماسة حقا — راحوا يشيرون بما يستطيعه المتطوعون من جهود فى هذا السبيل وضربوا الأمثلة بمصطفى كمال الذى كان يعلم الناس فى الشوارع والطرقات .

وهذه حماسة جميلة ، ولكننا لا نتردد فى الخوف منها على المشروع . ونحن نسلم بوجوب التطوع العام لهذه الفكرة القومية الجليلة ، ولكن التجربة القاسية علمتنا ألا نركن إلى التطوع فى هذا الطور من حياتنا ، ومواجهة الحقيقة الأليمة خير من الاسترسال مع الأمل اللذيذ .

يجب إذن أن يقوم المشروع على أساس عملى آخر غير التطوع ، حتى ولو وصل الأمر إلى التجنيد العام ، تجنيد المتعلمين فى كل قرية وكل حى للمساهمة فى المشروع .

والذى نراه أقرب إلى حقائق الأشياء أن يكلف بهذا الأمر المعلمون الالزاميون فتكون المدرسة نهارا للصغار وليلا للكبار فى مقابل زيادة طفيفة فى رواتب المدرسين . ونصف مليون من الجنيهات فى العام ليس كثيرا على هذا المشروع العظيم .

ثم ينبغى ألا تلهينا الحماسة للشروع عن النظر إلى الممكن وغير الممكن فى البيئة المصرية المحوطة بظروف اقتصادية واجتماعية خاصة .

فكثيرا ما يكون المانع من التعلم مانعا اقتصاديا بحتا مع رغبة الريفيين فيه كما يحدث غالبا لتلاميذ المدارس الالزامية الذين يتغيبون عن المدرسة لحاجة أهلهم إليهم فى كسب العيش والحصول على لقمة الخبز ، ثم يتعرضون للعقوبات التى ينص عليها قانون الالزام .

فهذه ناحية يجب الالتفات إليها عند التفكير فى إزالة الأمية أى تعليم الكبار الذين تجاوزوا سن الالزام ، والذين تزيد اعباؤهم المادية كثيرا على أعباء الأطفال الصغار ، وتزيد مشاغلهم اليومية تبعا لهذه الأعباء .

وملاحظة ظروف هؤلاء الناس كفيلة بألا تتعارض خطتنا لتعليمهم مع أعبائهم وظروفهم .

وعلى أية حال فهذه إشارة إلى الطريق لا اقتراح كامل للتنفيذ ، أردنا بها فقط ألا نتساق مع الحماسة الوقتية فى مثل هذا المشروعات القومية . والمشروع فى يد اللجنة ونحن ننتظر على يديها الخير إن شاء الله .

أمثلة قريبـــة

من منابع الثروة المهملة

مدينة حلوان — وادى حوف — غابة المقطم

كلمة عامة :

نحن دائبو الشكوى من الفقر، ومن تأثيره فى حياتنا الاجتماعية والصحية، وقد تضاءل متوسط الدخل الفردى حتى هبط إلى نحو تسعة جنيهات فى العام ، وهو مستوى شديد الانخفاض حتى بالقياس الى أفقر الشعوب .

ولكن مصر — فى الحقيقة — ليست فقيرة إلى هذا الحد ، فهناك موارد كثيرة للاستغلال ، ومنابع كبيرة للثروة ، لو أنها استخدمت لغيرت هذه الحال ، ولرفعت مستوى الثروة القومية ،ومستوى الدخل الفردى تبعا لذلك .

ولقد تحدثنا فى أعداد سابقة عن بعض المنابع الضخمة للثروة المصرية ، وعن الطرق المؤدية لاستغلالها،وعن المبالغ الكبيرة اللازمة لها، وعن الوسائل التى يمكن أن تجمع بها هذه المبالغ ، ولو نفذت هذه المشروعات أو بعضها لانتقلت مصر من حال إلى حال . وهذه المشروعات هى إصلاح جميع الأراضى القابلة للاستصلاح ومساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأفدنة ، وكهربة خزان اسوان،واستخراج المعادن المختلفة،وقيام الصناعات الزراعية...الخ. وهى تتطلب حوالى مائتى مليون من الجنيهات .

وقد يبدو أن المشروعات الاقتصادية كلها بهذه الضخامة ، وفى حاجة الى هذه المقادير الكبيرة من النقود التى يتعذر جمعها . فيجب أن نقول اليوم : إن هناك بجوار هذه المشروعات الهائلة مشروعات أخرى قريبة المتناول وقليلة النفقات ، واستغلالها مربح لا شك فيه .

وليست المنابع التى وردت فى عنوان هذا المقال إلا أمثلة لهذه المشروعات الصغيرة القريبه،التى يمكن القيام بها فى سهولة ويسر بين آن وآن . وسنتحدث هنا ببعض الإسهاب عن كل مشروع من هذه المشروعات الثلاثة ، ثم نتبعها فى الأعداد التالية بأمثلة أخرى من منابع الثروة المهملة فى البلاد .

١ — مدينة حلوان

مصر بلد من بلاد السياحة الشتوية ، والسياحة وحدها مورد كبير من موارد الرزق لعدد كبير من السكان ، ولكن هذا المورد غير معتنى به العناية الكافية فى مصر . وعلى كل حال فليس هذا موضوعنا ، ولكنا نلمسه لمسا فقط من بعيد بمناسبة الحديث عن مدينة حلوان وهى من المدن التى يقصدها كثير من السياح فى كل عام ، فيجدون أن كل شىء فيها من صنع الطبيعة حسن ، ولكن يد الانسان قد تركته للإهمال !

لو كانت حلوان هذه فى أى بلد من بلاد العالم لجعلها مدينة الذهب ، فلم يجتمع لبلد من بلاد العالم ما اجتمع لها من طيب المناخ ودفء الجو والمياه المعدنية على اختلافها ، ولم تهمل مدينة من مدن الاستشفاء فى العالم مثلما أهملت حلوان !

ومن النوادر التى سمعناها قصة أحد باشواتنا الذى ذهب الى النمسا ليستشفى من مرض روماتزمى عند أحد أطبائها المشهورين ، فلما علم الطبيب أنه مصرى أخذته الدهشة وتملكه العجب ، من أن يحضر مثل هذا " الـ ... ... باشا " للاستشفاء فى النمسا وهو من مصر وبها حلوان الحمامات !

والحديث عن مزايا حلوان كمدينة من مدن الاستشفاء ومشتى من أحسن المشاتى ، حديث مكرر معاد ولكنا نقول : إن لهذه المدينة ميزة أخرى فى موقعها ومنظرها ، فهى مدينة جبلية صحراوية فى واد مخضر ، وهذا يجعل لها من وجهة الجمال قيمة أخرى ، ويجعلها مرتادا لطلاب المناظر الجميلة ممن يثقل عليهم تشابه الوادى والخضرة والسهولة والامتداد

وندع هذا لنذكر كلمة مختصرة عن عيون حلوان ، لندرك مدى الإهمال العجيب للموارد القومية والاسراف بل السفه الذى كنا نبعثر به هذه الموارد فى الماضى القريب

كان المعروف للجيل الحاضر — إلى ما قبل أربع سنوات — أن عيون حلوان هى عيون كبريتية تشفى من الأمراض الجلدية والروماتزمية ، وهى التى تقوم عليها الحمامات الشهيرة .

ومنذ أربعة أعوام نبعت عين جديدة تركناها مهملة لبضعة أيام ، ثم حاول بعض المجرمين أن يطمسها فتغلبت على ارادتهم المجرمة وقذفت بالأحجار والأسمنت الذى طمسوها به وتفجرت من جديد ، وهلل الجمهور لانتصار النبع الطبيعى على ارادة المجرمين ، فالتفتنا إلى هذا النبع وأخذنا فى تنظيمه بعد الاهمال . وهو نبع ملحى كتب بعض الأطباء عن فوائده التى سنذكرها بعد .

ويقع فى أيدينا كتيب قديم مهمل ردىء الطبع من تلك الكتب المجهولة التى تباع على عربات اليد فى مجاهل القاهرة عنوانه : " وضوح البرهان فى فضائل ومزايا حلوان " تأليف "أحمد عبد العزيز مدرس الطبيعة الكيميائية والتاريخ الطبيعى والحكمة العملية بمدرسة دار العلوم " مطبوع " بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١١ هجرية الموافق سنة ١٨٩٤ ميلادية " فنعلم أن هذه " العين الجديدة " ليست جديدة ، وانها كانت معروفة فى سنة ١٨٩٤ أى منذ نصف قرن ، وكانت هناك عين ثالثة لا وجود لها الآن ! وإلى القراء نبذ مما ورد عن عيون حلوان فى هذا الكتاب .

" يوجد بحلوان عدة ينابيع يخرج منها مياه معدنية متحملة بجواهر مختلفة ، ومياهها على ثلاثة أنواع ، كل منها يخرج من ينابيع مخصوصة ، وهى المياه الكبريتية ، والمياه الحديدية ، والمياه الملحية " .

وقد حدد موضع كل عين من العيون الثلاث ، فأما العين الكبريتية فهى فى مكانها المقامة عليه الحمامات ، وأما المياه الملحية فحدد مكانها بأنه على " بعد ألفى متر بحرى المدينة بجوار شريط السكة الحديدية " وهو نفس المكان الذى نبعت فيه العين " الجديدة " كما نسميها الآن ، وأما المياه الحديدية فقال : يوجد ينبوعان فى الجهة البحرية الغربية للمدينة على بعد ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر من السراى الخديوية " وهى غير معروفة الآن ! .

وورد فى هذا الكتيب عن طبيعة هذه العيون وفوائدها ما أذكر هنا بعضه . جاء عن المياه الكبريتية : أن هذا النوع يحتوى على حمض الكبريت بكثرة وهو الذى يعطيها الرائحة المخصوصة ... ويؤخذ من رسالة الدكتور حسن باشا محمود وغيره أنها تستعمل فى الأمراض الجلدية كالحكة والصدفية والقوب المزمن وحب الشباب والجذام والبرص والجرب وداء القمل والقراع . وفى الأمراض الخنازيرية بأنواعها كالعقد وأورام العظام والأمراض الأفرنجية ، والأمراض الروماتزمية كوجع المفاصل والركب والروماتزم العضلى ، وأمراض الصدر كالنزلات والسعال المزمن وداء الربو غير المصحوب بآفة فى القلب ، والاحتقانات كاحتقان الكبد والطحال والكلى ، وأمراض الجهاز التناسلى البولى كاحتقان الخصية عند الرجال وعدم الحمل عن أمراض الرحم عند النساء ، وفى الشلل والفالج وشلل الحس والحركة وكساح الأطفال ، وبعض الأمراض العصبية كعرق النسا ، والضعف وفقر الدم غير المتعلقين بمرض القلب .

وجاء عن المياه الحديدية : أن هذا النوع يحتوى على الحديد وعلى حمض الكربون (الغاز الفوار فى المياه الغازية) ويستعمل فى فقر الدم وطعمه مقبول يسهل الهضم كمياه كارلسباد ويستعمل فى أمراض المسالك البولية وأمراض الكبد . وقد ذكر مؤلف الكتاب أن الذى اكتشف هذه العين هو خديو مصر السابق (توفيق) . ومع ذلك فلا يعرف أحد الآن مقرها !

أما المياه الملحية (العين الجديدة) فقد جاء عنها : إن ماءها ملحى محتو على كبريتات وكلوروورات وكربونات وهو مسهل ويشبه فى الطعم لماء (راكوكسى) ويستعمل فى أمراض الجهاز الهضمى كالنزلات المعدية والمعوية والإمساك المستمر وضعف الهضم ، وأمراض الكبد والطحال ، واحتقانات المخ ، وأمراض القلب .

وحينما عاد هذا النبع للظهور فى أبريل سنة ١٩٣٩ قدم عنه الدكتور "كلوفيس موصللى" عضو الجمعية الفرنسية للجراحة بباريس وكبير أطباء قسم الولادة بجمعية الاسعاف تقريرا جاء فيه :

" بعد عدة أبحاث تبين أن هذه العين هى عين حازة معدنية ، واتضح من تحليل مياهها أنها خالية من الميكروبات على اختلاف أنواعها ، وبذلك تكون صالحة للشرب ، ونظرا لخلوها من الميكروبات وانعدام سميتها ، فإن مياه هذا الينبوع التى يتدفق منها نحو ألف متر مكعب كل ٢٤ ساعة مفيدة جدا ، ويمكن الانتفاع بها كمورد إضافى لمياه النيل خلال الفيضان ، أو حتى على طول السنة .

" ولقد أثبت الدكتور " أندريه تاجر " فى أبحاثه التى قام بها تحت إشراف حضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا ، والتى نشرت فى مجلة الجمعية الطبية الملكية عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٣٩ أن التجارب الاكلينيكية ، قد أسفرت عن أن مياه هذه العين ذات فائدة فى علاج أمراض القناة الهضمية وأمراض الكبد ، وقد أفادت فى القضاء على لبولينا فى الدم والبول ، وقد تبين أنها صحية وعلاجية بغض النظر عن ارتفاع نسبة كلورور لصوديوم . ولكن لا ينصح باستعمال هذه المياه للمصابين بالكلى بالنسبة لمشمولها من كلورور لصوديوم (٢,٥ فى الألف) .

فهذه ثروة من العيون المعدنية وحدها فى حلوان يمكن استغلالها فى نطاق واسع ، لا على لنحو الضيق الذى تستخدم به العيون الكبريتية وحدها . والذين زاروا مدن الحمامات ى أوروبا يذكرون الفارق الكبير بين المنشآت والترتيبات المتخذة للانتفاع بهذه الحمامات هنا وهناك ، ويذكرون أن نظام الحمامات والترتيبات الصحية المتخذة هناك ، وتسهيل طرق لوصول إليها ، وإحاطتها بوسائل التسلية بجانب وسائل العلاج . . . كل أولئك يجلب لسائحين والمستشفين ، ويضاعف ما يعود على السكان الأصليين من الفائدة ، وعلى الدولة ن المنفعة .

فإذا نحن اهتدينا إلى العيون الحديدية وأضفنا إليها العيون الملحية التى كشفت حديثا ، وأحسنا استغلالها فى الزجاجات المعبأة على نحو مياه فيشى وكارلسباد ، وأنشأنا الحمامات للسباحة وبجوارها الفنادق والمتنزهات ووسائل التسلية ، ضاعف هذا كله من عدد الرواد ومن فائدة الاستغلال .

ولكن هذا كله لا يتحقق ومدينة حلوان الثمينة مهملة هذا الإهمال فى طريقها الحديدى وفى أفاريزها الرملية وفى خلوها من جميع وسائل اللهو والرياضة فيما عدا "حديقة البابان" .

ولعله من المضحك أن تنشر الأهرام فى النبذ التى كانت تكتبها بعنوان " منذ خمسين سنة " أن هناك مشروعا لكهربة خط حلوان ، ثم تنشر فى هذه الأيام أن هناك مشروعا لكهربة خط حلوان أيضا !

ويبدو أن كهربة هذا الخط «طلسم» مسحور لا يفك سحره ؛ ويهمس الكثيرون بأساطير شتى عن هذا الطلسم ؛ وينتظر الكثيرون ذلك الساحر الموعود الذى يفكه ، والذى لا تجود به الأيام ، لأن هناك من يهمه أن يبقى هذا الطلسم كما كان !

٢ — وادى حوف

وادى حوف منبع آخر من منابع الثروة المهملة . ويقع هذا الوادى الى الشمال الشرقى من مدينة حلوان فى قلب الصحراء وهو واد جميل يعرفه من يقوم ببعض الرحلات المدرسية وغير المدرسية ؛ ولكنه ملقى هنالك فى الصحراء ، موحش مقفر ، لا يطرقه الناس إلا فى بعض الرحلات .

والمشروع الذى نقترحه لهذا الوادى أن تقام فيه « استراحة » مثل استراحة « شل » فى الطريق بين القاهرة والأسكندرية يأوى اليها طلاب النزهات الخلوية فى عصارى أيام الصيف ولياليه المقمرة ، وطلاب الرحلات الشمسية فى الشتاء .

ومما لا شك فيه أن هذه الاستراحة ستجد الرواد الكثيرين الذين يمرون سراعا أو يتريثون بعض الأيام والليالى وستكون مكانا مرغوبا فيه لندرته وندرة أمثاله فى مصر ذات الأضحيات المشمسة والأمسيات المقمرة الضائعة كالهباء بسبب الإهمال .

ومما يذكر هنا أن هذا الوادى يقع مقابلا للينبوع الجديد فى حلوان فيمكن أن تمد الاستراحة هنا بمياه النبع فى أنابيب وبذلك يتحقق لرواده غرضان : غرض النزهة وغرض تناول هذه المياه المعدنية المفيدة . ويمكن الشركة التى تعهدت باستغلال العين الجديدة ، أن تقوم هى نفسها بمشروع استراحة وادى حوف .

وسيعود على الحركة التجارية والعمرانية فى مدينة حلوان بالرواج ، فما بال اتحاد الملاك فى حلوان لا يفكر فى مثل هذه المشروعات المفيدة الرابحة ؟ أغلب الظن أن الملاك هنا قد يئسوا من كل إصلاح للمدينة ، لأن الطلسم لا يحل ولا يجد الحلال .

٣ — غابة المقطم

قيل فى وقت من الأوقات وكان ذلك قبل الحرب بأعوام إن هناك مشروعا لإنشاء غابة من الأشجار على حدود القاهرة فى سفح المقطم ثم نام المشروع كمعظم المشروعات النافعة التى لا ينقصنا الانتباه لها ولكن تنقصنا الهمة لتنفيذها .

وهذا المشروع ذو قيمة استغلالية وقيمة صحية وقيمة رياضية وفنية . فأما من ناحية الاستغلال فما نعانيه اليوم من أزمة الأخشاب ومواد الوقود عامة كفيل بأن يفتح أعيننا على ضرورة مثل هذا المشروع وعلى فائدته الاستغلالية العظيمة . وحسبنا أن نشير الى أن صناعات غرس الأشجار وقطعها وإعدادها واستخدامها ، كان يمكن أن تستغل عددا كبيرا من الأيدى ومن رءوس الأموال ، فضلا على الربح المادى والاقتصادى فى حياة البلاد .

وأما من الناحية الصحية ، فحسبنا أن نقول إن القاهرة من أقذر العواصم بسبب الرمال التى تذروها الرياح عليها من الصحراء ، هذه الرمال التى تسبب مع القذارة العامة أمراض العيون بنسبة عظيمة . وإقامة مثل هذه الغابة على حدود المدينة كفيلة بمنع هذه الرمال عنها ، فضلا على تلطيف جوها القارى فى فصل الصيف بحجب موجات الحر اللافحة التى تهب عليها من الصحراء الشرقية .

وأما من الناحية الرياضية والفنية ، فإن وجود هذه الغابة يجعلها مرتادا للمتنزهين وطلاب الصيد الخفيف ويوجد منظرا جميلا تقع عليه العين ويرتاده الخيال . وليس هذا بالقليل فى حساب الأمم التى تدرك معنى الرياضة ومعنى الجمال .

* * *

إن امثال هذه المشروعات يبدو صغيرا . ولكن مائة منها تحدث تغييرا جوهريا فى حياة البلاد وفى ثروتها وفى صحتها وفى ذوقها وفى فنها . وليس هذا كله بالأمر التافه ولا بالربح القليل .

فى صميم الريف

جاذبية الأرض — عمق التقاليد — منطق البيئة

بقلم الأستاذ سيد قطب

اعتدنا أن نفكر فى الاصلاح الاجتماعى ، وأن نقترح المشروعات الاجتماعية ، ونحن مطمئنون على مكاتبنا فى القاهرة ، وكل ما نعتمد عليه فى التفكير وفى الاقتراح هو النظريات الاجتماعية التى نقرؤها فى الكتب والصحف ، وهو الملاحظات التى تعن لنا عن حالة الطبقات المختلفة فى العاصمة ، ثم هو بعد هذا وذلك ذكريات غامضة عن الريف ، أو ملاحظات عابرة عمن نلقاهم فى الحين بعد الحين من أهل الريف .

والآن — وقد عنت لى جولة فى هـذا الريف — أحس إن كل ما نفكر فيه ونحن فى مكاتبنا بالقاهرة ، إنمـا هو عبث فى عبث ، بل سخف فى سخف ، وأن الريف الذى نريد إصلاحه ونزعم معرفتنا بمـا ينقصه من ضروب الإصلاح ونقترح له المشروعات المختلفة ، هذا الريف بعيد عنا ونحن بعيدون عنه ، لا يفهم أفكارنا ولا نفهم أفكاره ، وإنه لينظر إلى مشروعاتنا واقتراحاتنا نظرة الاستغراب والتعجب المصحوبين بالسخرية لأننا لا نعرف شيئا حقيقيا عنه :

وأريد أن أطلقها صيحة مدوية يهتز لها من يشاء ويتندر بها من يشاء : نحن فى القاهرة غرباء ، غرباء عن مصر . نحن أجانب عن حقيقة هذه البلاد ، أجانب عن صميم هذا الوطن . نحن نختلس الجنسية المصرية اختلاسا ونروح ندعى أننا مصريون بينما الصلة منقطعة بيننا وبين مصر . . . مصر التى هى هنالك فى صميم الريف ، مصر الخالدة فى ضمير الزمن ، مصر الحقيقية ، لا مصر المصطنعه الشائهة المزيفة التى فى القاهرة .

فإذا كنا جادين فى ادعائنا أننـا نريد للريف الخير ، ونفكر له فى الإصـلاح ، فلنعرف الطريق أولا إلى ضمير هذا الريف ، ولنتعرف أولا إلى قلبه ، ولن ننال ذلك ونحن جالسون فى مكاتبنا المريحة بالقاهرة ، ولن نصنعه ونحن نتنفس فى جو القاهرة ، ونحن نحيا هـذه الحياة الصناعية المزيفة الغريبة على النفس المصرية ، وعلى الطبيعة المصرية ، وعلى البيئة المصرية .

الريف هنالك فى الريف ! ومصر أيضا هنالك ، والمجتمع المصرى الذى نحاول علاجه ، والأمراض الاجتماعية التى نطب لها ، ... كل أولئك بعيد عنـا ونحن بعيدون عنه ، وكل مشروعاتنا ونحن بعيدون هى مشروعات مستعارة ، كالوجوه التنكرية ، وبينها وبين الواقع فرق ما بين الوجه التنكرى والوجه الطبيعى !

تعالوا أيها المصلحون الاجتماعيون هنا إلى الريف. عيشوا أيها المشرعون الاجتماعيون هنا فى مصر. ولا تأتوا — إذا جئتم — بعقلية القاهرة ، ونفسية القاهرة ، فإن الريف لن يفهمكم إذن ولن تفهموه ، ولكن تعالوا إلى هنا لتندمجوا فى البيئة ، ولتكابدوا مشقاتها ، وتفكروا تفكيرها . ثم بعد ذلك كله — لا قبله — ضعوا المشروعات لإصلاح الريف على أساس الواقع لا على أساس التقاليد .

* * *

(١)

ها هى ذى عربة الديزل تقطع الطريق من القاهرة إلى أسيوط ، ثم ها هوذا القطار يطوى الأرض إلى سوهاج... ها هوذا الوادى الخالد يتسع تارة ويضيق ، ولكنه هو هو الوادى الأخضر الوديع المنساب كالنغمة الحلوة من الناى العميق !

وها هو ذا الغروب الرائع ، وها هو ذا منظر الرواح . فالريفى وبهائمه وماشيته يؤلفون " موكب الرواح " من الحقول . ذلك الموكب الذى ألفه الوادى منذ مئات الأجيال . إنه هو هو لم يتغير ولم يتبدل منذ آلاف السنين .

أيها الوادى . إنك لساحر . أيتها الأرض إن لك لجاذبية ، وإن هـذا الفلاح لمشدود إليك منذ الأزل ، وإنه لن يتخلص من هذا الوثاق ، فإذا شاء المصلحون الاجتماعيون وإذا شاء المشرعون الاقتصاديون أن يفكروا فى طرق الاصلاح وفى وسائل الرخاء ، فليبنوها على أساس هذه الجاذبية .

لقد لقينى الكثيرون ممن يحبوننى من أهل الريف فكانت أقصى أمنيتهم لى أن يكون لى زرع وجرن ومحصول ... إن هذه الأمنية الساذجة لتصور مدى اعتزاز هؤلاء الناس بالأرض ، ومدى سحر الأرض وجاذبيتها لهم . إنهم لا يتصورون أمنية أسعد ولا أكبر من الزرع والقلع ! إنهم مخلصون للوادى ، متفاهمون مع الطبيعة ... إنهم مصريون !

وإنه ليجب أن نلتفت إلى هذا عند المفاضلة بين المشروعات الاقتصادية والعمرانية يجب أن تكون المشروعات المتعلقة بالأرض وبالزراعة هى أول ما نفكر فيه لأنه يتفق مع هذا الحب الخالد للوادى ، ومع هذه الجاذبية العميقة للأرض .

إن هـذا الفلاح الريفى لن يهجر الأرض الحبيبة إلى أى عمل آخر إلا حين تنبذه هذه الأرض ولا تعود تعوله وتقوته ، وإنه ليتركها حينئذ مرغما وهو يحن إليها مهما اشتغل بالصناعة وبالتجارة . وإنه ليعود إليها عند أول فرصة فيجب إذن أن نلبى رغبته وحبه بأن نحاول استصلاح أكبر مساحة نستطيع أن نستصلحها من أرض الوادى ، وأن تكون المشروعات النيلية لتوفير المياه لهذا الاستصلاح فى مقدمة المشروعات . فأما اذا أردنا الصناعة فلنقدم الصناعات الزراعية على كل صناعة أخرى ، فإنها ترتكن إلى أساس متين ، وإلى حب دفين ، فى نفوس المصريين .

والماشية ! إنها قرينة الأرض فى الجاذبيـة وعديلتها فى المحبة . إن جاموسة الفلاح وبقرته وجمله وغنمه هم أصدقاؤه . نعم وأعبر عنهم بضمير العاقل (هم) فإن الفلاح يعاملهم معاملة الأصدقاء والعقلاء ، ويحس لهم فى نفسه ما يحس للأهل والأبناء .

فيجب إذن أن يكون لهذه الظاهرة أثرها فى مشروعاتنا . يجب أن نمهد لهـذا الريفى اقتناء أحسن السلالات رويدا رويدا ، وأن نلقحها ضـد الأمراض مجانا ، وأن نسرع بقانون التأمين على المـاشية ، فإن هذا التأمين لها هو تأمين لحياة الفلاح كلها ، وحين يعرف هـذا الفلاح أن بقرته أو جمله أو جاموسته مضمونة الحياة أو الثمن سيشعر بالاطمئنان على حياته وحياة أبنائه ، وعلى رزقه ورزق عياله ، ولن يذبح البهيمة المريضة ويبيع لحمها الموبوء فينشر الأمراض بين الآدميين ، فإنه إنما يصنع هـذا لأن بهيمته رأس ماله ، فليتقذ منه ما يستطيع إنقاذه !

ويطول بنا الحـديث حين نمضى فى استعراض المشروعات التى يمكن تقديمها والعناية بها على أساس المعرفة بجاذبية الأرض فى الريف ، فنلخصه فى كلمتين اثنتين : الزراعة والصناعات الزراعية وما يتعلق بهما من مشروعات .

* * *

(٢)

ونحن سكان القاهرة — يخيل إلينا فى بعض لحظات الحمق والغرور — أننا نملك تغيير ما لا نحب من عادات مصر وتقاليدها ، بحملة صحفية ، أو إذاعة لاسلكية ... ... !

ألا ما أشد غرورنا نحن القاهريين ! إن التقاليد المصرية لأعمق من أن تؤثر فيها هذه الصيحات التى تذهب فى الهواء . إن مصر الحقيقية هى هـذا الريف المتماسك القوى المؤمن بتقاليده إيمانه بالدين !

وإننا لنغيب عن هذا الريف الخالد بضع سنوات فيخيل إلينا أن الزمن صنع هناك شيئا وأننا سنعود إلى الريف فنجده قد تغير كثيرا أو قليلا . ثم نعود ... فإذا الريف هو الريف : هادئ مطمئن ، مخلد إلى عقائده وتقاليده ، مؤمن بعاداته وشرائعه ، فإذا نحن حاولنا أن نعيش هناك بعقلية القاهرة ، وأن نعامله بتقاليد القاهرة ، نظر إلينا فى عجب رفيق وسخرية خفيفة ، ومضى فى طريقـه هادئا مطمئنا ، فما نلبث نحن أن نتخاذل ، وأن نتضاءل ، وأن تنطوى قاهريتنا ويتبخر غرورنا ، ونعود نحن أيضا لتقاليد الريف ولأحكام الريف !

وقل ما تقول عن ضرر هذه الحالة وعن أثرها فى تأخرنا وجمودنا ، وعن وعن . . فإن هذا كله لن يغير من الواقع شيئا ، ولن يزحزح الريف عن اطمئنانه وهدوئه ، ولا عن إيمانه بتقاليده .

وقل ما تقوله أيضا ؛ فان تستطيع أن تنكر أن قوة الريف إنما تتمثل فى هذه الظاهرة ، وأن مصر قد ابتلعت كل الفاتحين وكل الوافدين بهذه القوة نفسها ، وأن عمق تقاليدها هو الذى حماها من الأندثار فى خلال عشرين قرنا قضتها فى ظلال الفاتحين من كل جنس ودين !

فعلى هذا الأساس ينبغى أن نبنى مشروعاتنا الاجتماعية : كل مشروع يعارض التقاليد العميقة مقضى عليه بالفشل مهما كان صالحا ، ومهما كانت السلطة التى تسنده ، ومهما كانت العقوبة التى توكده . وما هو إلا أن يصطدم بالصخرة الراسية المطمئنة حتى يذهب بددا ، وتبقى الصخرة الراسية المطمئنة .

لقد كنت من أشد الداعين مثلا إلى سن قانون بالكشف الطبى على الزوجين قبل الزواج . كنت متحمسا لهذا المشروع وأنا هناك فى القاهرة ، أشاهد المجذومين والمصروعين والمسلولين ، وأعلم بأنهم أبناء المرض والشذوذ ، وأشاهد فتيات القاهرة وهن يسبحن فى الطرقات كالديدان و يرتدن كل مكان . فكنت حينئذ أنادى : يجب أن يكشف على الخطيبين قبل الزواج !

ثم جئت إلى الريف . فإذا هذا المشروع الذى كنت متحمسا له ، حلم جميل ، وخيال بديع . ولكنه لا يستطيع أن يثبت للواقع ، ولا أن يقف للتقاليد !

أين هى الأسرة التى تعرض فتاتها على الطبيب ليقرر صلاحيتها للزواج ، مهما تكن شدة العقاب ؟ إنه لا وجود لهذه الأسرة ، ولو شذت أسرة واحدة ، لوقفت التقاليد العميقة فى الطريق . وليقل من شاء كيف شاء : "هذا تأخر . هذه رجعية . هذا جمود" فسيذهب هذا القول فى الهواء ، وسيتم الزواج بلا كشف طبى ، وسيحتال على القانون ، فإذا لم توجد الحيلة فسيخرق القانون ، وليكن ما يكون !!!

أفلا سبيل إذن إلى الإصلاح الاجتماعى أمام التقاليد ؟

هنالك السبيل ، ولكن على شرط ألا يصطدم بالتقاليد ! وأن يكون العرف والدين مساعدين للقوانين . ومن الذى يعرف هذا العرف من القاهريين ؟ ومن الذى يعرف الدين فى الريف كيف يكون ؟

أيها المشرعون : تعالوا هنا إلى الريف قبل أن تتعبوا أنفسكم فى صوغ القوانين . ومن الريف ، ومن تقاليد الريف ، خذوا الاتجاه العام ثم صوغوا النصوص كما تشاءون !

(٣)

وللبيئة هنا منطق لا سبيل إلى تجاهله . وهو منطق الواقع الملموس .

جلس معى شاب ريفى غنى يتحدث من نفسه فى سذاجة وطلاقة وهناك مستمعون كثيرون . قال ما معناه : "إن من نعم الله على أنى لا أعاف شيئا ، وأن نفسى لا تتقزز

من شيء . فلست كالآخرين الذين يرون مريضا أو قذرا يشرب من إناء فلا يشربون من ذلك الإناء ، أو يسمعون أن هناك مريضا بمرض يعدى فيمتنعون عن زيارته ... إنني أتوكل على الله ، ونفسي لا تخشى شيئا من قدرالله " .

فماذا قال السامعون ؟ إنهم جميعا بلا استثناء ، وفيهم الشيخ والشاب ، وفيهم الغني والفقير ، قالوا بصوت واحد : "هذه نعمة من نعم الله عليك حقا ! هذا شيء جميل ومريح ! هذا فضل من الله ! "

هذا منطق البيئة . البيئة التي تعجز المتحرزين عن التحرز . والذين عاشوا في الريف يعلمون معنى هذا الكلام ، فلن تستطيع أن تعزل مريضا عن بقية الأصحاء ، لأن منطق البيئة لا يستسيغ هذا العزل . ولن تستطيع التقصير في عيادة مسلول ، لأن منطق البيئة لا يقبل عذرك في هذا التقصير . ولن تستطيع أن تتقزز من طفل قذر أو رجل أجرب أو مجذوم ، لأن منطق البيئة لا يغفر لك هذا التقزز .

وما هو إلا أن تقيم في هذه البيئة بضع سنوات حتى تطحنك طحنا ، وتعجنك عجنا ، وتحيلك ريفيا في منطقه ومعاملته ، لأن هذا هو منطق الريف !

ومن هذه الكلمات التي نقلتها لك من حديث هذا الريفي تستطيع أن تفهم كيف تنتشر العدوى ، وكيف تنبذ نصائح الأطباء ، وكيف تذهب إذاعات وزارة الصحة ، وكيف تعم الاوبئة في فترات متقاربة أو متباعدة .

والباب الوحيد المفتوح للإصلاح الاجتماعي والصحي من هذه الناحية ، هو باب الوعظ الديني . فهذا الريفي المصري مفتوح السمع والقلب للدين ولدعوة الدين ، وإن لم يكن في ظاهره من المتدينين . وإن المصري لأشد أهل الأرض استسلاما للتدين في أعمق أعماقه ، حتى لتجد هذا الاستسلام في كبار المجرمين والمفسدين !

يستطيع الوعظ الديني المثقف أن ينهض بالعبء إذن في الريف المتدين ؛ وهذا يلفت نظرنا بشدة إلى التقصير في هذه الناحية و إلى القصور فيها كذلك فالواعظ الديني يجب أن يكون مثقفا عصريا عالما ، وأن نبذل من العناية في إعداده ما يبذل لأعظم مشروعات الإصلاح الاجتماعي فهو أساس هذا الإصلاح في الريف .

* * *

أيها الوادي المنساب في ضمير الأبد . أيتها الأرض العريقة في مجاهل التاريخ . إنني أحبكما . أحبكما على الرغم من كل شيء .

وأما أنتم أيها المصلحون الاجتماعيون والمفكرون الاقتصاديون : فتعالوا هنا إلى الريف العريق ، إلى الأرض الطيبة ، إلى الوادي المقدس . ومن هذه البيئة القوية العميقة خذوا مشروعاتكم وسنوا قوانينكم ، و إلا فأنتم خياليون أو هازلون !

سيد قطب

الشعب والحكومة فى الإصلاح

بقلم حسن الشريف

نلاحظ بغبطة وسرور أن الاهتمام بالمسائل الاجتماعية وبالإصلاح الاجتماعى قد ازداد فى مصر ازديادا محسوسا منذ أنشأت الحكومة وزارة للشؤون الاجتماعية . وهذا دليل على أن فى أمتنا غرائز خيرة كثيرة ، تنشط إلى العمل الصالح متى نبهت إليه .

ولكن التنبيه إلى العمل الصالح والتنبه إلى وجوبه لا يكفيان . بل يجب فهم هذا العمل أولا ، ثم تنظيمه وتوزيعه ثانيا ، ثم تنسيق الجهود القائمة به أخيرا .

بهذه الطريقة نستطيع أن نعمل عملا منتجا وأن نصل إلى غاية معينة . أما الرغبة فى الإصلاح كيفما اتفق ، وتزاحم الجهود حيث يجب أن تتوزع ، وتوزعها حيث يجب أن تتجمع ، واختلاف أساليب التفكير فيما يجب وفيما لا يجب ، وتباين وجهات النظر فيما يحسن أن نبدأ به وفيما يحسن أن ننتهى إليه ، كل هذه فوضى تنم على أن فينا حافزا للعمل ، ولكنها على كل حال فوضى لا يستقيم بها أمر ، ومحال أن يتحقق معها إصلاح صحيح .

فنحن إذ ننشد الإصلاح الاجتماعى ونعمل له ، يجب أن نعرف أمراضنا الاجتماعية قبل كل شىء ، وأن نعرف وسائل علاجها بعد ذلك . فإذا ما وثقنا من أننا أحسنا تشخيص الداء وأحسنا وصف الدواء ، بقى علينا أن نعرف كيف نتعاون حكومة وشعبا — على حمل أعباء الإصلاح الاجتماعى فى هذه البلاد .

لقد ألفنا فى مصر أن نعتمد على الحكومة فى كل شىء وأن نحيل عليها جميع الأعباء . فهى المطالبة بتعليم الشعب وتربيته ، وبإنشاء الملاجئ والمستشفيات ، وبترقية الزراعة وإيجاد الصناعات ، وبتوفير العمل للمتعطلين والوظائف للمتعلمين ، وهى المطالبة أيضا بإبطال البدع ومقاومة الخرافات والقضاء على العادات السيئة والأخلاق الممقوتة ، وبغير ذلك مما يجب أن يعتبر بعضه أو أكثره من واجبات الأمة قبل أن يكون من واجبات الحكومة ، أو على الأقل من واجبات الأمة والحكومة متعاونتين .

ولكن استقراء تاريخ الحضارة الحديثة يدلنا على أن الإصلاحات الاجتماعية إنما قامت بها الشعوب قبل أن تتولاها الحكومات ، بل يدلنا على أن عمل الحكومات فى تلك الإصلاحات لم يزد على الرعاية والرقابة والتوجيه .

والواقع أنه لايمكن لحكومة أن تسبق الشعب إلى الإحساس بحاجاته ، وإنما هى تستمد منه قوتها ، وتسترشد برغباته فى إصلاحاتها ، وتجد الحافز على الإصلاح فى تلك الحاجات والرغبات . وليس من طبائع الأشياء أن تنشط حكومة ما دام الشعب راكدا ، ولا أن تركد حكومة إذا نشط الشعب وألح فى طلب التغيير والإصلاح .

والشعب لا ينشط إلا إذا انتشر النور بين طبقاته ، وأصبح ذا وجدان مرهف يدله على حقيقة نقائصه ومشكلاته الاجتماعية . وهو عندئذ لا يبعث الحكومة على الإصلاح فقط ، وإنما ينبعث أفراده بأنفسهم على هذا الإصلاح .

والحقيقة أن فضيلة السبق إلى التفكير والابتكار L'initiative يجب أن تكون وأن تظل فضيلة شعبية . فالشعب يبدأ بالإصلاح صغيرا ويسير فيه شوطا ، ثم تجئ الحكومة فتستأنس بالخطى التى سبقت إليه فتأخذ به وتستخدم قواها للتوسع فيه . وهذا هو الذى حدث بالفعل فى البلاد المتمدنة . فإن ميزة الابتكار فى جميع تلك البلاد كانت للشعوب قبل أن تكون للحكومات .

لقد كان التعليم المدرسى والجامعى فى انجلترا إلى وقت قريب العهد مجهودا شعبيا خالصا وليس هذا بالغريب فى الأمم الديمقراطية ، لأن الشعب الذى يضطلع بتبعة الحكم يجب أن يضطلع بتبعات الاصلاح .

ولا أظننى أنبئ القراء بجديد إذا قلت لهم أن حكومة الولايات المتحدة بأمريكا لا توجد فيها وزارة معارف وأن التعليم هناك تشرف على أموره مصلحة فى وزارة الداخلية . وليس معنى هذا أن الحكومة الأمريكية لا تعنى بشؤون التعليم ، وإنما معناه أنها وجدت من نشاط الشعب فى تأسيس المدارس والجامعات ما أغناها عن إنشاء وزارة للتعليم . وهكذا يتعاون الشعب والحكومة فى هذا الميدان بحيث يبقى نصيب الشعب فى هذا التعاون أكبر من نصيب الحكومة بكثير ، والدليل على ذلك أن مدارس الحكومة وجامعاتها هناك هى دون مدارس الشعب وجامعاته فى العدد وفى فخامة البناء وتأثيث المعامل واختيار المدرسين .

ولقد قام الشعب الانجليزى بحركة التعليم بما كان له من جمعيات خيرية ، ثم جاءت الحكومة فتوجت هذا المجهود الشعبى بقانون للتعليم الإلزامى صدر فى سنة ١٨٧٠ ولكنها لم تنشئ وزارة للمعارف إلا منذ ثلاثة وأربعين عاما فقط .

وما التعليم مع هذا سوى واحد من الاصلاحات التى تعاونت فيها الحكومة والشعب ، وكان فضل السبق إليه للشعب لا للحكومة . أما شؤون الصحة والتعاون الصناعى والزراعى وإيواء اليتامى والعجزة وإنشاء المؤسسات الخيرية فقد قام بها الشعب المستنير فى أوروبا

وأمريكا ، ثم ساهمت الحكومات فى توسيعها وتنمية مشروعاتها . مثال ذلك أن المستشفيات كانت حتى عهد قريب فى انجلترا من عمل الشعب ومجهوده لا دخل للحكومة فيها . ولا تزال المصحات والمستشفيات الأهلية تفضل مستشفيات الحكومة وتمتاز عليها ضخامة وسعة وأثاثا واطباء ومعامل .

وكلنا يعرف أن الحكومة البريطانية تأخذ على عاتقها تأمين العمال من التعطل والمرض والشيخوخة ، وتأمين الأم من نفقات الولادة وتكاليفها ، وهذه الأنواع من التأمين وغيرها تقتضى من الحكومة مبالغ طائلة تحسب بمئات الملايين من الجنيهات . ولكن يحسن ألا ننسى أن هذه التأمينات كلها قد قامت بها من قبل جمعيات الصداقة Friendly Societies وهى جمعيات أسسها العمال والفقراء متضامنين متعاونين على تفريج الضائقة التى قد تحل بواحد منهم فى يوم من الأيام .

و إنشاء الملاجئ كان ومايزال من عمل الشعب . وتلك بيوت برناردو Barnardo Homes فى انجلترا واسكوتلندا والمستعمرات البريطانية الحرة مفخرة من مفاخر الشعب الانجليزى ومثال للبر الاجتماعى الذى يمارسه أفراد هذا الشعب . وبيوت برناردو كما هو معروف ملاجئ تربى وتعلم وتستخدم كل من يلجأ اليها من اليتامى وأبناء الفقراء .

* * *

فى الحكومات العصرية نزعتان متعارضتان : نزعة تميل نحو التدخل الحكومى فى أعمال إصلاحية كانت إلى وقت قريب مما لا تبالى به الحكومة أو مما تتركه للشعب يقوم به وحده . فقد كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا تعرف شيئا من التأمينات الاجتماعية للعمال والفقراء . ولكن الرئيس روزفلت فيما يسمى مشروع "الصفقة الجديدة New Deal" قد كلف حكومته نحو ستة مليارات جنيه (جنيه لا دولار) انفقت كلها فى أنواع من أعمال التأمين والإسعاف .

وهناك حكومات تمنح الأفراد مكافآت مالية تشجعهم على التزاوج والتناسل . وهناك حكومات تبنى منازل للعمال وتشارك الشركات الصناعية فى أعمالها ولعل أغرب مثال لذلك هو اشتراك حكومة السويد فى صنع الخمور وبيعها ، حتى أنها جعلت الساقى (Bar man) فى الحانات موظفا من موظفى الدولة . وهو بهذه الصفة لا يهمه أكثر زبائنه أم قلوا ، فلا يقدم الخمر لقاصر ولا يعطى منها لسكران ولا يبيع زجاجة مقفلة الا ببطاقة رسمية . فالتدخل الحكومى هناك يقصد منه التقييد المنظم لتجارة ثبت أن ضررها أكبر من نفعها .

وهذا الميل نحو التدخل الحكومى تقول به الأحزاب الاشتراكية وتستند فيه على أن التطور الصناعى اذا كان قد نجح فى زيادة الانتاج فهو قد عجز عن زيادة الاستهلاك وأن الأزمات الاقتصادية المتكررة تنشأ من تلك الزيادة فى الانتاج مع هذا العجز فى الاستهلاك .

على أننا اذا وجدنا هـذا النوع من التفكير الاجتماعى متطرفا من ناحية ، فاننا نجد ما يقـابله فى النزعة الأخرى . فهربرت سبنسر يذهب الى أن من واجب الحكومات أن تقتصر مهمتها على تحقيق أمن الدولة وسلامة الأمة أى على تنظيم الجيش للدفاع ضد عدو أجنبي ، وتنظيم القضاء والبوليس للدفاع ضد عدو داخلى . أما بعد هذا فليس على الحكومة من واجب ، وانمـا على الشعب وحده أن يقوم بأمور الصحة والتعليم وغير ذلك .

رأيان على طرفى نقيض . أما الحقيقة فى اعتقادى . فهى كامنة بين هذين الطرفين . فان تدخل الحكومة ليس محمودا فى كل شيء ، واقتصارها على الأمن العام للدولة والأمة لا تعززه مشاهدات الحاضر ولا مشاهدات المـاضى . فالدفاع ضد العدو الخارجى يحتاج الى جيش ، والجيش — كما يقول نابليون — يمشى بمعدته ، أى يمشى متى صح وشبع . ومن هنا نرى أن الصحة جزء مهم من أمن الدولة وسلامتها . وكذلك فان الحكومة الديمقراطية لا يمكنها أن تعيش ولا أن تنتج فى شعب جاهل لا يفهمها ، لأن جهـل الشعب يجعله لا يستسيغ أعمالها و يعرضها لقلاقل وانقلابات مستمرة ، ومن ذلك نفهم أن تعليم الشعب شرط لأمن الدولة . وعند ما تتقدم الصناعات الآلية والميكانيكية فى أمة ، يحدث التعطل بين العمال الزراعيين والصناعيين فتقع الحكومة فى مشكلة اجتماعية تحتاج الى الحل السريع . وعندئذ يدعو الأمن العام الى تحاشى مساوئ هذه المشكلة بكفالات و إعانات تمنحها الدولة للعمال المتعطلين .

وهكذا نرى أن علاج مشكلات الاصلاح والانشاء والتعمير عمل لا تستغنى الحكومة فيه عن الشعب ولا يستغنى الشعب عن الحكومة ، بل يجب أن يظل موضـوعاً للتعاون الدائم بينهما .

ونحن فى مصر نعرف أمثلة كثيرة لاصلاحات عديدة قام بها الشعب وسبق الحكومة اليها ، ولكنها أثمرت ثمرتها الطيبة عندما تعاون عليها الشعب مع الحكومة ، فكان للشعب فيها فضل الحافز والعامل اذ أحس الحاجة اليها فجعل يدرس مشروعاتها و يخطط أسسها ثم أخذ فى انشائها والسير فيها حتى تحققت ونمت ، وعندئذ تدخلت الحكومة فأمدت هـذه المشروعات بقوتها المـالية فضاعفت فوائدها وعممت ثمراتها .

هذه مثلا جامعة فؤاد الأول ، أنشأها الشعب المصرى عند ما أحس حاجة الى الثقافة العالية . ولقد سارت هذه الجامعة مدة طويلة لا تجد غير رعاية الجمهور سندا لها . ولكن سـيرها كان يتسم بالبطء والضعف الى أن جاءت الحكومة وتعاونت مع الشعب . وهنا وجدت الجامعة المعونة الكبرى فبرزت مضطلعة بكل أعباء الثقافة العصرية .

وتاريخ تلك الجامعة هو تاريخ جهد شعبى لا يخفى مغزاه على أحد من المصريين .

وأبرز من هذا المثل مثل المدارس الأهلية التى أنشأها الشعب فى أنحاء البلاد لتعميم التعليم . فإلى سنة ١٩٢٤ لم يكن لوزارة المعارف مدرسة ثانوية للبنات ، أما الشعب فكان له عدد من هذه المدارس . وعند ما نذكر الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقى وجمعية المساعى المشكورة والجمعيات الخيرية القبطية تمثل أمام أعيننا جهود الشعب المصرى فى سبيل نشر التعليم ، تلك الجهود التى عاونتها وزارة المعارف بالإعانات المالية الكريمة وبالاشراف اليقظ وبالتوجيه السليم .

فمسألة التعليم فى مصر كانت وستبقى مسألة التعاون بين الشعب والحكومة .

ونحن حين نسمع أن فى جامعة فؤاد الأول زهاء ثلاثمائة فتاة مصرية يتعلمن فى كلياتها المختلفة ، يجب أن نذكر بفخار أن لمجهود الشعب الفضل الأول فى هذا الانتصار الثقافى وأن فضل الحكومة إنما يأتى فى المكان الثانى . وبعبارة أخرى يجب أن نقول أن التعاون بين الشعب والحكومة هنا قد أثمر أحسن الثمرات .

والأزهر . لقد كان هذا المعهد العظيم يعيش بمجهودات الشعب وحدها أى بالأوقاف التى حبسها عليه رجال البر فى الأزمان الماضية . والشعب المصرى مفطور على البر محب للإحسان ، كما تدل على ذلك المساجد والكنائس فى أنحاء مصر .

ولكن العصر الحديث قد استحدث حاجات جديدة تحتاج الى بر من نوع جديد . فالمدينة العصرية التى تزدحم بالأطفال المتعطلين هى غير القرية التى كان الصبى فيها يعمل عمل أبيه فى الزراعة أو فى رعاية الماشية . وهذا الصبى يحس اليوم حاجات لم يكن يحسها الذين من قبله ومن هذه الحاجات ما يجب أن يستجاب حتى لا يشب الطفل شاعرا بحرمانه من معرفة القراءة والكتابة والحساب والمسليات البريئة المفيدة . كذلك المستشفيات والمستوصفات والملاجئ قد أصبحت تنادى أهل البر وأصدقاء الإنسانية ، لأن أخطار المدينة وأمراضها وأمراض الريف تتطلب الإكثار من تلك المبرات . ومثل هذا يقال أيضا فى المدارس التى بتنا فى حاجة الى المئات بل الآلاف منها ، وفى الشبان الذين يحتاجون إلى أندية رياضية تحول بينهم وبين المفاسد .

هذه المنشآت وغيرها هى من مبتكرات الشعوب فى البلاد المتمدنة لم تتدخل الحكومات فى أمرها الا معاونة أو منظمة .

وكلما تعقدت المشكلات الاجتماعية ازدادت الحاجة الى اطالة التفكير والتدبر فى اختيار النوع الأنسب من الإحسان وإيثار لون من البر على لون آخر . والروية فى مسألة الإحسان خير من التسرع والارتجال . وهنا يطيب لى أن أذكر اسم روكفلر الثرى الامريكى العظيم .

فقد حبس ملايين من الجنيهات على أعمال البر ولكنه ترك تعيين نوعها الى لجنة خاصة عرف أنها أدرى منه بقيمة الخدمات التى تعود على الانسانية من لون من ألوان البر دون غيره . أما هنا فى مصر فمعظم البر متجه الى إنشاء المساجد والزوايا . وقد تكون القرية عندنا فى جهة ما محتاجة الى مسجد ، وقد تكون فى جهة أخرى حافلة بالمساجد ولكنها تخلو من مستشفى أو ملجأ أو مستوصف . ففى هذه الحالة نحتاج الى دقة التمييز وحسن الاختيار .

والثرى فى أمريكا لا يعتمد على نفسه كل الاعتماد فى تعيين نوع الإحسان الذى يريد أن ينفق فيه ما يحبس من أموال ، بل هو يستشير ويردد الرأى ويدرس الموضوع.

وفى جميع المدارس الأهلية الانجليزية مكافآت (Scholarships) ينتفع بها التلاميذ الأذكياء إذ تتحمل المدرسة تكاليف دراستهم العالية فى إحدى الجامعات ، وقد تزيد على ذلك إمدادهم بالمعونة المالية إذا ضاق بهم أهلهم أو عجزوا عن الإنفاق عليهم ، وهذا بر نكاد لا نعرفه فى مصر ، وجهلنا به يحرم الأمة الانتفاع بذكاء أو نبوغ الكثيرين من أبنائها الفقراء ، ولست أعرف من كنوز الأمة الطبيعية ما يساوى النبوغ الخام الذى يقبر دون أن تتاح له فرصة النماء .

فى كل هذه الأشياء : أى فى إنشاء الأندية لشباب المدن ، وتأسيس المدارس ، ورصد المكافآت المالية لأبناء الفقراء الأذكياء ، وإنشاء الملاجئ لليتامى والعاجزين ، وإقامة المستشفيات للمرضى والمصابين ؛ يجب أن يتعاون الشعب مع الحكومة تعاونا وثيقا يكفل خير النتائج وأحسن الثمرات ، والشعب حين يتجه الاتجاه الاجتماعى الصحيح لا يتنبه فقط إلى واجباته بل يتنبه أيضا إلى حقوقه ، لأنه إذا كان سيسخو بماله لإقامة مستشفى شعبى مثلا ، فانه سيقف موقف الرقيب الدقيق على ميزانية الدولة حتى إذا وجد بابا من أبواب الاسراف ألح فى إقفاله ، إذ لا معنى لأن يتبرع الشعب بماله حرا مختارا وهو يجد التبذير فى أموال الدولة التى جبتها من الضرائب .

على أن السخاء والتبرع والإحسان ليست مقصورة على بذل المال ، فانه همة الشباب عند ما تتوجه إلى الخير تكون نوعا من أنواع البر والإحسان ، ولقد استطاع عدد كبير من الطلبة أن يبتكروا المنشئات الاقتصادية والخيرية ولم يكن لديهم من سند يستندون إليه غير النشاط ، ثم جاءت الحكومة فتوجت جهودهم كما رأينا فى مشروع القرش وكما نرجو أن نرى فى مشروعات أخرى .

حسن الشريف

معركة النظافة

تبذل وزارة الصحة فى هـذه الأيام جهدا عنيفا فى مكافحة الأوبئة ، وتتخذ فى هـذه المكافحة جميع الوسائل ، ومنها النشر والإذاعة والإرشاد — وهى وسائل نظرية — واستئجار الحمامات وإباحتها للجمهور مع منحهم الصابون للاستحمام وغسيل الملابس — وهى وسائل عملية — وزيادة كميات البترول لغلى الملابس — وهى وسائل مساعدة .

ويجب أن نذكر أن معظم الأوبئة المتفشية هى أمراض القذارة ، لأن الذبابة والفملة والبعوضة وهى ناقلة هـذه الأمراض حشرات لا تعيش إلا مع القذارة . وقد كتبنا مرة فى هذه المجلة مقالا تحت عنوان : "هل نحن شعب قذر" ؟ فنفينا أن تكون هـذه صفة أصيلة فى المصريين ، لأن التاريخ يحفظ عن نظافة مصر القديمة الشيء الكثير ؛ ولكننا صرنا شعبا قذرا لأسباب كثيرة فى مقدمتها الفقر الذى تعانيه الملايين .

فمتى ذكرنا أن هـذه الأوبئة هى أمراض الحشرات ، وأن الحشرات وليدة القذارة ، فلنذكر أن القـذارة هى وليدة الفقر فى أغلب الحـالات ولنذكر أن مكافحة الفقر مكافحة لأمراض القذارة جميعا ، ولأمراض سوء التغذية كذلك (وإن يكن هذا ليس مجال الحديث عنها) .

ولنحاول أن نتذكر — بعد أن نجحت مكافحة التيفوس وابتعد خطره — بحلول الصيف أن الشتاء قادم وأن مصدره كان هو القذارة ، وأن مصـدر القذارة هو الفقر المعجز عن النظافة ، فنستبق فى نفوسنا بعض الحرارة التى نستشعرها الآن لنحاول بها مكافحة الفقر بقدر الإمكان .

والآن تجهد وزارة الصحة كل الجهـد لمكافحة القذارة ، وتنشر الدعاية ضدها بكافة الوسائل ، فيستجيب لها القادرون على النظافة ، بينما يسمع الآخرون هذه الدعاية ويقابلون أكفهم من الأسف على أنهم لا يستطيعون تلبية الدعوة ، وإنقاذ أنفسهم وأهليهم من الداء الذى يهددهم فى كل آن .

يستجيب لدعوة النظافة من يملكون الصابون ، ويملكون البترول ، ويملكون الثياب ، ويملكون نوعا من الفراش ، فأما أولئك الذين لا فراش لهم إلا الهلاهيل ، ولا ملابس لهم إلا الأسمال أو مايشبه الأسمال ، ولا قدرة لهم على شراء البترول لغلى الهلاهيل ، ولا على شراء الصابون لغسلها ، بل الذين لا يستطيعون شراء المـاء — وللـاء سعر فى كثير من الجهات يعجز عنه الكثيرون ، أما هؤلاء فيسمعون ويسكتون وإن أعينهم لتفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون !

وقد أحست وزارة الصحة بهذه الحقيقة المرة ، فاستأجرت عشرات الحمامات وأباحتها للفقراء وقررت أن تصرف لهم الصابون بالمجان ليستحموا ويغسلوا ملابسهم ، وقد تدفقوا على هذه الحمامات بالألوف ، مما يشعر أن القذارة ليست طبيعية فيهم ولا رغبة لهم ، وإنما هى ضرورة واضطرار

ولكن هذه الحمامات التى استؤجرت وفتحت أبوابها للفقراء يقع معظمها فى العواصم والعواصم ليست كل شىء ، وهنالك ملايين فى الريف قذرون يسبح القمل فى أجسادهم وملابسهم ولا عاصم لهم من الأوبئة ، ولا قدرة لهم على النظافة ؛ وهم ينتقلون هنا وهناك وينقلون معهم قملهم وتيفوسهم وسواه من الأمراض فماذا أعدت وزارة الصحة لهـذا كله وماذا أعدت الأمة لوقاية نفسها مما يهدد افرادها جميعا :

إنه لا يكفى أن تكون هناك فى العواصم حمامات مفتحة الأبواب للجماهير — وإن كانت لن تكفى الجماهير — وهبها تكفى جماهير العواصم العاجزة عن النظافة ، فإن وراء المدن ملايين أخرى لايستطيعون أن ينتقلوا اليها ولا أن ينتفعوا بحماماتها .

وإنه لا يكفى أن يسمع الناس دعوة وزارة الصحة فينفذها بضع عشرات من الألوف القادرين على النظافة ثم تبقى الملايين ينطبق عليها المثل العـامى (العين بصيرة واليد قصيرة) ويبقى القمل يسبح فى أجساد هذه الملايين وملابسهم وأسمالهم ، وينقل معه الداء الوخيم القتال.

وإن المهمة ليست مهمة وزارة الصحة وحدها ، ولا مهمة الدولة وحدها . إنها مهمة الأمة . فهذه الأمة مهددة بالخطر ، ولن ينفع الأغنياء النظيفين فيها أن يحاربوا الحشرات فى بيوتهم الخاصة وفى ملابسهم الخاصة ، بينما الفقراء القذرون يملأون المسالك والفجاج ، وينثرون حشراتهم وأمراضهم فى كل مكان .

نعم إن وزارة الصحة يقظـة وهى تبذل أقصى ما تستطيع وتوزع آلاف قطع الصابون بالمجان . ولكن جهودها مهما تكن ، محدودة بالقياس الى هذه الملايين . والأمة بمجموعها مسئولة لا وزارة الصحة بمفردها

يجب إذن أن تصنع الأمة لنفسها شيئا ، وأن تدرأ الخطر عن نفسها بشىء من التضامن وشىء من التعاون وشىء من التضحية الخفيفة ، التى لا يشعر بها المتوسطون فيها بله الاغنياء

ويجب أن يكون هذا الذى تصنعه الأمة لنفسها عملا مباشرا فى سبيل النظافة ، وعملا محليا لا يصطبغ بصبغة الرسميات ولا بالإجراءات المطولة التى لا تلاحق خطوات الداء .

فى كل مدينة أغنياء وفقراء ، وفى كل قرية أغنياء وفقراء ، وفى كل حى من الأحياء أغنياء وفقراء . وإن الأغنياء فى كل مدينة وكل قرية وكل حى ، ليستطيعون أن يتبرعوا بشىء من الصابون وشىء من البترول . وإنهم ليستطيعون أن يتصلوا اتصالا مباشرا بالفقراء بوسيلة من الوسائل — ولتكن فى صورة جماعة من المتطوعين يزورون البيوت بيتا بيتا فيوزعون عليه الصابون والبترول ، ويبثون الدعوة المباشرة للنظافة ، والتحذير المباشر من القذارة والأوبئة

ولكن الصابون والبترول ، إنما يجديان حين تكون هناك ملابس تغسل وتغلى ، وأنا أؤكد للسادة الأغنياء ، أن هناك من ليست لهم ملابس تغسل وتغلى . فستبقى المهمة إذن معطلة ما لم يكن لهؤلاء ملابس . ونحن لا نريد لهم ملابس حريرية أنيقة ، إنما نريد لهم لباسا وكفى لباسا من أى نوع ، فليكن من عمل هذه الجماعات أن توفر لهؤلاء الناس لباسا أيا كان !

هذه هى الوسائل العملية . أما مجرد الدعوة والتحذير فقد يفيد ، ولكنه لن يقاوم الداء ، ولن يمنع القذارة ، ولن يحمى الأغنياء من قذارة الفقراء !

* * *

قرأنا منشورا للحكمدارية بالتنبيه المشدد على رجال البوليس بالنظافة وتوقيع أشد العقوبات على من يتهاونون منهم فى العناية بها .

ويجب أن يكون رجال البوليس آية فى النظافة ، ويجب أن توقع أشد العقوبات على المهملين منهم فى النظافة ، فإنهم مظهر الحكومة ، وعنوان الدولة ، ومنفذو القانون . ولكن يجب فى الوقت ذاته أن يكونوا قادرين على النظافة ، فانا لنعلم أن مرتباتهم ضئيلة ، وأن الغلاء يرهق كبار الموظفين ومتوسطيهم لأن قدرة مرتباتهم على الشراء قد هبطت إلى ما يقرب من الربع ، فرجال البوليس مرهقون إذن بمطالب الحياة ، وقد يعجزهم هذا الإرهاق عن المحافظة على النظافة المطلوبة منهم ، وقد يقعون تحت طائلة العقاب ، أو يتقون العقاب بتجويع أنفسهم وأهليهم لشراء الصابون والبترول !

ونحن نقترح أن تصرف لهم الحكمدارية : إما على حساب الدولة ، وإما عن طريق التبرعات — كميات مناسبة من الصابون والبترول بالمجان مساعدة لهم على تنفيذ اوامر الحكمدارية الواجبة التنفيذ ، فإن هذه خطوة عملية فى مكافحة القذارة ، وإنه لواجب لمظهر الدولة ولممثليها فى تنفيذ القانون .

يجب أن نكون عمليين ، وألا نكتفى بالدعاية أو بالتعليمات ، فالدعاية واجبة ، والتعليمات ضرورية ، ولكن التيسير والتسهيل واجبان كذلك . وفى الأقوال المأثورة : (إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع) .

إن الدعاية سهلة وإن التعليمات سهلة كذلك ، ولكن الأمور لا تتم بالدعاية ولا بالتعليمات وإنما تتم بالأعمال ، والأعمال اصعب ولا شك ، ولكن لا بد لنا من مواجهة الصعاب ، وقد أصدرت الحكومة امرا عسكريا يتيح لها إجبار الأفراد على نظافة المساكن والشعر والبدن والمفروشات من الحشرات ، وكذلك إجبار أصحاب وسائل النقل العمومية والمنتديات وما إلى ذلك على رش المواد المبيدة للحشرات و يمكنها من سحب رخص السواقين والباعة الجوالين والسيارات والعربات ذاتها إذا اتضح وجود القمل أو غيره من الحشرات فيها .

وكل هذا جميل ومشكور . ولكن يبقى المنبع . يبقى عجز الكثيرين عن النظافة لأنهم لا يملكون وسائل النظافة . وقد أدت وزارة الصحة واجبها ، وبقى أن تؤدى الامة واجبها كذلك . وها هو ذا صوت النذير يدوى فى آذانها ، وأداء الواجب لا يكلفها إلا القليل .

من أسس العمران الاجتماعى

الملاجئ — دور العلاج

(للأستاذ فايد العمروسى)

نظم الملاجىء

كثير من المصلحين فى هذا العهد تناولوا بأبحاثهم معظم النواحى الاجتماعية والاقتصادية وكثير منهم تناولوا نقد نظم التعليم بجميع أنواعه وكل ما يتصل به ، ولم أجد بين هذا وذاك حظا للملاجىء العامة فيما كتبوا أو عالجوا ، ولست أعرف سببا لهذا سوى تناسى أهمية هذه الدور فى مجتمعاتنا أو اسقاطها من عداد معاهد التعليم والتربيـة ، أو على الأقل مراعاتها بالنذر اليسير من نتاج الأقلام ولقد شاء الله ألا يطول عهد تناسيها أو نسيانها كثيرا ، فمنذ أن وجدت وزارة الشئون الاجتماعية والاهتمام بهذه الملاجىء سائر بخطى سريعة والعناية بها جادة فى طريق الاصلاح والتنظيم ، وليس أدل على هذا من المؤتمرات الخاصة والعامة التى يقوم بها معالى الوزير الحالى للبحث فى أمر هذه الملاجىء وادخال النظم وزيادة الاعتمادات المـالية التى ترفع من شأنها وتجعـل الحياة فيها هنيئة رخية يسعد بها المحرومون الذين يعيشون فيها .

والاهتمام بمسألة الملاجىء فى مصر جزء مهم من سياسة العمران الاجتماعى وركن أساسى من أركان النهضة العـامة فى ناحيتها الانسانية ، وهى على قلة عددها فى بلد كمصر فينقصها كثير من الرعاية والنظم فى نواح شتى وأهمها :

نظم قبول التلاميذ بها ، الرعاية الصحية ، مشكلة المتخرجين فيها ، البعوث الى الخارج هذه أربعة أمور لكل منها ملاحظات خاصة نجملها فيما يأتى :

نظم قبول التلاميذ

الملاجىء كالمدارس ، فى نظام قبول التلاميذ بها ، فهى ذات لوائح وقوانين تحدد فيها سن القبول وتوضح حالة المقبولين من فقر ويتم الى غير ذلك ، وهى اذ تطبق هـذه اللوائح تطبيقا كاملا فانما تتوخى تعميم الاستحقاق على من تتوفر فيهم هذه الشروط توفرا لا تجاوز

فيه ، وبذلك تستطيع أن تنقذ الآلاف من الأطفال اليتامى الذين لو تركوا فى ميدان الحياة هدفا لفقرهم ويتمهم لأصبحوا من أفتك عوامل الخطر فى كيان المجتمع ، هذه هى القواعد الاجتماعية التى أخذت بها نظم الملاجىء وما يشبهها فى قبول الأطفال بها وهى نظم لا غبار عليها ولا نقد ، ولكن يظهر أن تلك النظم نفسها قد تطرق اليها التجاوز أو الاستعمال فى دائرة أوسع منها ، فقد لوحظ أن نسبة المقبولين فى هذه الملاجىء — فى السنوات الاخيرة — ممن لا تنطبق عليهم اللوائح عدد كبير ، ويقابل هـذه النسبة نفسها عدد آخر حرم من القبول فأصبح عدد الطفولة المشردة التى شغلت وما زالت تشغل بال المصلحين والمفكرين ، ولقد قرأت لمعالى وزير الشؤون الاجتماعية ضرورة تكوين مؤتمر عام من المشتغلين بالمشاكل العامة للنظر فى أمر هـذه الملاجىء وتحديد الحالة العامة لاستحقاق المقبولين بها ورفض من لا يستحقون ، وليست اشارتى الى هذه الناحية من الملاجىء مستقاة من الأخبار العامة أو ما يشبهها ولكنها قائمة على معرفة خاصة لبعض نواحيها ، وما أشبه قبول عدم المستحقين فى هذه الملاجىء بأعفاء كثير من تلاميذ المدارس من المصروفات وهم قادرون ، وعل فيما يصنعه ولاة الأمور من إصلاح هذه الملاجىء ما يحتم تنفيذ لوائح اليتم والفقر بالدقة الكاملة فى المقبولين حتى لا يحرم من التربية من هو أهل لها وجدير بها .

* * *

الرعاية الصحية :

نظم الرعاية الصحية فى هذه الملاجئ هى نظم الرعاية الصحية فى جميع المدارس الابتدائية فليست هناك وحدات لعلاج الأمراض المتنوعة ، وليست هناك دور علاج خاصة لهـذه الملاجئ ، وهـذا أمر ولا شك يلفت النظر ، إذ أن أطفال الملاجئ ليسوا فى حاجة إلى الطعام والشراب والتعليم فقط أكثر من حاجتهم إلى علاج أمراضهم ودفع غوائل العلل عنهم ، إن مسألة إطعامهم أمر هين عليهم فى الحياة حتى لو اشتغلوا خدما بالمنازل ، وكذلك مسألة تعليمهم أمر ميسور جدا بعد انتشار التعليم الإلزامى وتعميم غذاء الأطفال فيه ، أما مسـألة المرض وعلاجه فهو الصعب العسـير عليهم بل على غيرهم ممن يعيشون من ثرواتهم ويتعلمون على نفقات ذويهم .

الملاجئ — على قلتها — تتسلم الأطفال اليتامى لتربيتهم وتعنى بشؤونهم إلى سن خاصة فأول ما يجب أن تعنى به هى مسألة الصحة العامة قبل كل شىء ، ولقد أعرف أن ميزانية الملاجئ كبيرة وأن معظمها ينفق فى الطعام والشراب والعناية بالملابس وأسرة النوم وتدعيم أسس الصناعات التى يتعلمها الأطفال ، وليس بكثير أن يرصد بعض من تلك الميزانيـة

أو يراد عليها جزء للعنايه بالحالة الصحية ، فكثير من الملاجئ ليس بها مستشفيات محلية للمرضى ، وكثيرا ما تضطر إدارات الملاجئ إلى فصل بعض التلاميذ المرضى بأمراض معدية وذلك لعجزهم عن إيوائهم فى دور علاج خاصه أو إرسالهم إلى المستشفيات العامة لندرتها أولا ولضيقها ثانيا .

أعرف كثيرا من هذه الوقائع وأمثالها ، ويكفى أن أقص حكاية تلميذ فى أحد الملاجئ أرسل إلى أهله لأنه مريض بمرض جلدى ، وقد حكمت إدارة الملجأ ألا يعود التلميذ إلى دراسته أو قل محل إقامته وتربيته حتى يشفى تماما من مرضه !!

هنا وفى هذه الواقعة الصغيرة نواح للتعجب والتأمل ! ! من أهل هذا التلميذ اليتيم الفقير ؟ وما هو مرضه ؟ وكيف يعالج حتى يشفى ومرضه غير معروف له دواء ؟

إن تصرف الملجأ بالنسبة لهذا التلميذ صحيح لا غبار عليه طالما أن مرض التلميذ معد ولكن ما العمل والتلميذ ليس له أهل ، أو له أقارب ليسوا أحسن منه حالا ؟ لقد حرصت إدارة الملجأ على صحة تلاميذه ولم تحرص على صحة أطفال الجمهور فى الشوارع والطرق ، فهذا التلميذ المريض المطرود ، سوف يجرى فى الطرق ، وسوف يحتك بالأطفال أمثاله فيعدى منهم العشرات كل يوم حتى يشفى ! وبعض التلاميذ يمرض بهذا المرض نفسه فيبحث عن أهله أو أقاربه ، فإذا بعضهم فى الاسكندرية والآخر فى قنا فترسل إليهم أطفالهم فى السكك الحديدية مخفورين بالحراس !!

هذا تصرف ولا شك عجيب ! ولكن سرعان ما يزول العجب إذا علمت أن الإدارات التى تصرفت هذا التصرف معذورة كل العذر وانه لم يكن لديها سوى هذا التصرف ، إذ أنه ليس لها دور علاج خاصة بالأمراض الجلدية ، وليس فى القاهرة على اتساعها إلا دار واحدة فى مستشفى الأزهر بها عشرة أسرة لا غير !!

وهنا وفى هذه الناحيـة بالذات نتوجه الى معالى وزير الأوقاف الذى عرف بالبر والخير والنشاط الدائب فى السهر على إصـلاح بعض الملاجىء التابعة لوزارته ، وأن يضيف الى صنائعه العالية التى عرف بها بعض الاهتمام بهذه الملاجىء ولا سيما فيما يتعلق بالرعاية الصحية لهم من إنشاء دور علاج صغيرة خاصة بأبنيـة الملاجىء ، وباقامة الوحدات الصحية على اختلاف أنواعها كما هو الحال فى النظم الصحية بالمدارس الثانوية .

* * *

المتخرجون فى الملاجىء :

يتخرج التلميـذ فى الملاجىء فى سن السادسة عشرة ليلتحق بالأعمال الحرة أو بأعمـال فى بعض الصناعات الحكومية أو الهيئات المنظمة ، ويلاحظ أن هذه سن صغيرة لا تسمح

اصاحبها بالتفكير السليم فى الحياة العملية ، وقد يترتب على ترك الأطفال فى هذه السن أن تفسد حياتهم وأن يسلمهم الفساد الى البطالة أو التشرد فيضيع عليهم وعلى الملاجىء التى تعهدتهم ما بذلت من جهود وتضحيات ، ولتجنب هذه النتائج يحسن أن يزاد فى مناهج الصناعة فى الملاجىء ما يسمح للتعلمين فيها بالبقاء الى سن الثامنة عشرة على الأقل فيتخرج فى عمله وهو على سعة والمام بالمهنة التى امتهنها وقد ثبت أن الشبان الذين تخرجوا فى الملاجىء ناجحون فى الحياة الصناعية ، فهم منتشرون فى دور الأعمال الحكومية والأهلية ، وكثير منهم سلك العمل الحر فنجح فيه وسار سيرة مرضية و بعضهم قد اشتغل فى نفس الملجأ الذى تخرج فيه .

صبيان أو شبان هذا شأنهم وتلك اثارهم ليس بكثير عليهم أن نمنحهم سنتين زيادة على السن المقررة لهم فى ترك الملاجىء ، وهو وقت لن يضيع علينا سدى وسنجنى منه فى مجهود هؤلاء الصبيان أضعاف ما تتكلفه الدولة من مصاريف .

* * *

البعوث الى الخارج :

ليس فى البلاد المصرية جميعها الا ملجأ واحد أسس على النظم الحديثة و بنى خصيصا لتربية اليتامى من الأطفال، هذا هو ملجأ الحرية الذى يضارع فى نظمه وأبنيته أرقى المدارس الداخلية الحديثة ، وما بقى من الملاجىء فى المدن أو المراكز فانما هى أبنية استخدمت لما ، شأنها فى ذلك شأن كثير من أبنية مدارس الحكومة المستعملة الآن . ومن الاسراف أن نزعم بأن فى استطاعة الحكومة اقامة أبنية جديدة للملاجىء أو نقلها الى أبنية أخرى أكثر صلاحية ولا سيما فى هذه الظروف ، و إذا لم يكن من المستطاع تحقيق هذه الرغبة من الناحية المادية ، فانه من المستطاع الأخذ بنظم الملاجىء الحديثة والعمل بها داخل أبنيتها الحالية ، وهذه النظم الحديثة يمكن أن يوديها المشرعون أو المقترحون فى نظم التعليم عامة ، وكما أن التعليم فى جميع نواحيه قد أدخل فيه التطور الحديث عاما بعد عام بوساطة الاخصائيين المطلعين على النظم الحديثة فى البلاد الأوربية فكذلك يحسن أن تنال الملاجىء فى مصر نصيبها من هذا التعديل . تبعث البعوث العلمية والفنية كل عام الى أوربا للتخصص فى نواحى الثقافات المختلفة ولم نسمع أن واحدة منها كانت لدراسة النظم فى الملاجىء الأوربية ، ولا أحسبنى مبالغا إذا ادعيت بأنه ليس عندنا من المتخصصين فى الثقافات أو دراسة النظم التعليمية من يؤدى مهمة تنظيم الملاجىء على شاكلتها فى أوربا ، نعم عندنا عدد قليل زاد

الملاجىء الأجنبية واقتبس منها بعض نظمها ثم أدخلت فى ملاجئنا على الطريقة المصرية ، ولكن هذا ليس كافيا ، إذ لا يزال العدد الأكبر من الملاجىء بيوتا للأوى بحسب تنقصها وسائل الترفية عن الأطفال وتفتقد فى مجموعها روح الاطمئنان والبشر، وما أحوج اليتامى الى هذه الروح .

نريد بعوثا إلى الخارج أو متخصصين فى دراسات نظم الملاجىء يتولون بعنايتهم إصلاح النظم عندنا وتكييفها بالطرق العملية المنتجة من الناحية العقلية للأطفال وبالطرق التهذيبية التى تصلح أخلاقهم فتشع فى نفوسهم الاطمئنان وينسون مرارة الحرمان واليتم .

نستطيع أن ندخل فى الملاجىء الحديثة كثيرا من المظاهر الطيبة ، منها الزيارات الأسبوعية لأمهات الأطفال وهى زيارات جمعية تعقد فيها أواصر الصداقة والمعرفة بين الأمهات وتتأصل روابط الألفة والود بين الأطفال ثانيا ، ومنها الاحتفال بالمواسم والأعياد احتفال الأسر فى منازلها فيشعر الأطفال بالفرح والبهجة بما يوزع عليهم من الحلوى أو الهدايا المناسبة وبما يباح لهم من حرية المرح واللعب وبما يشهدون من مظاهر الاهتمام بهم فى هذه الأعياد ، ومنها الرحلات الجمعية وزيارة الأماكن التاريخية وغير التاريخية والتنزه فى الحدائق والطرق العامة الفسيحة وفى هذا ما فيه أيضا من إدخال البشر والبهجة فى نفوس هؤلاء المساكين .

ومن هذه المظاهر الطيبة عرض الأفلام السينمائية على اختلاف أنواعها تعليمية أو تهذيبية أو للتسلية ، وبعض الملاجىء الأوربية عنيت كل العناية بتخصيص دور للأفلام فى أبنية الملاجىء أو خارجها واهتمت بإخراج الأفلام القيمة التى لها صلة بحياة هؤلاء الأطفال صغارا وكبارا ، والتى تعرض عليهم نموذجا صالحا من حياتهم العملية فى مضمار الحياة .

كذلك من المظاهر الطيبة أن يتنازل بعض أثرياء الأمة ووجهاؤها فيخصصوا بعض الزيارات للملاجىء وألا يضنوا بجزء من أوقاتهم فى رؤية وجوه طائفة من أطفال الشعب المحرومين على أن تكون هذه الزيارات نواة للاكتتاب بما تجود به نفوسهم لهذه الملاجىء وبما يعطفون به من الهدايا المناسبة لهم ، كذلك من نظم الملاجىء الحديثة أن تقام فيها بعض الحفلات الموسيقية الجامعة وأن يحيى هذه الحفلات الموسيقيون المعروفون حتى يشعر الأطفال أنهم من الشعب وأن الشعب منهم ، وحتى يطمئنوا إلى أنهم متصلون بالعالم الخارجى فى جميع مظاهره وأنه لا ينقصهم من متع الحياة شىء ، وكذلك من النظم أن يكون فى كل ملجأ مسجد أو محل للعبادة وأن يكون لكل منهما إمام أو مرشد يقيم بهم الفرائض الدينية ويلقى عليهم الإرشادات النافعة فى اجتماعات عامة وفى هذا ما فيه من تهذيب النفس والخلق معا .

هذه بعض النظم على بعضها معمول به عندنا فى دائرة ضيقة، وعلى معظمها ليس له وجود فى نظمنا الحالية وما أحسبها إلا نظما فى حدود المستطاع لا يقف فى طريق تحقيقها صعوبة ما .

* * *

ومن أسس العمران الاجتماعى " دور العلاج " ونهضة الاهتمام بالصحة العامة فى مصر قائمة على قدم وساق منذ خمس سنوات إلى الآن ، ولا تزال وزارة الصحة تفكر فى المشروع تلو المشروع وتنفذ الإنشاء تلو الإنشاء ، وإنا لنرى ونسمع كل يوم طائفة من الخلق والتجديد فى تعميم وسائل الصحة فى المدن والريف ، وإن نشاط معالى وزير الصحة وسهره الدائب فى تنفيذ مشروعاته الصحية — ولا سيما فى هذه الأيام — لمما يوجب الثناء والإجلال غير أن هناك ظاهرة ملموسة لها صلة بتوزيع وسائل العلاج فى البلاد، هذه الظاهرة هى :

تركيز المستشفيات الكبرى فى المدن الكبيرة

فى القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم الأقاليم دور علاج كاملة لا ينقصها شىء من النظم الحديثة ولا تعوزها المستكشفات الطبية فى العصر الحاضر ، وهى نتيجة قد تفى بحاجة سكان هذه المدن وما جاورها دون غيرها من الأقاليم الريفية النائية ، لذلك كثر الضغط على هذه المستشفيات فضاقت بمن فيها ولاسيما مستشفيات القاهرة والاسكندرية ، وإنك لترى العشرات من المرضى كل يوم يفدون إلى العاصمة بأمراضهم المختلفة فلا يجدون فى المستشفيات العامة أو الخاصة أماكن لإقامتهم وعلاجهم ، وإذا وجدوا فإنما هم زائدون فوق الطاقة يعالجون كيفما يكون .

هذه ظاهرة — ولا شك — واقعة، وهى جديرة بالتفكير فيها والعمل على تلافى ما ينجم عنها من أخطار ، إن العلاج غذاء الصحة، كما أن مواد الطعام والشراب غذاء الجسم فجدير أن يوزع الأول على صحة الجمهور توزيعا مناسبا، كما وزع الثانى عليهم توزيعا عادلا، فلا أقل من أن يكون فى كل مركز من مراكز القطر مستشفى عام كامل الأدوات والعدد ذو أقسام مختلفة باختلاف الأمراض وتنوعها، وفى هذا ما يخفف الضغط عن دور العلاج فى العواصم الكبرى ، وما يوفر على المرضى من القرويين مشقة الانتقال وكثرة النفقات .

فى مراكز القرى دور للعلاج، ولكنها دور جزئية ينقصها كثيرا من الاستعدادات الطبية التى تلزم لفحص الأمراض الخطرة والمستعصية ، وقد ترتب على تركيز المستشفيات الكبيرة فى القاهرة والأسكندرية أن تركز فيهما أيضا مهرة الأطباء وعلماؤهم وباحثوهم، وما أحوج الريف المصرى إلى الانتفاع بطب هؤلاء البارعين حتى يستأصل ما فى مرضاه من أمراض مستعصية خطيرة .

لقد عنيت وزارة الصحة بانشاء الوحدات الصحية فى الريف كما عنيت بانشاء المستشفيات المتنقلة للرمد والبلهارسيا والانكاستوما وجميع الأمراض الطفيلية، وهذا وأمثاله قد خفف من حدة البلاء المنتشرة فى الريف من هذه الأمراض وأزال ما كان يهدد الشعب من الخطر والوباء، ومع هذا وذاك فلا تزال الحاجة ماسة الى اقامة المستشفيات الثابتة لأنواع الأمراض الأخرى من حميات وجراحة وعظام، وفوق ما فى هذا من انقاذ المرضى وتعميم المستشفيات الكبيرة فان فيه تشجيعا للهيئات والجماعات الخيرية المشتغلين بالطب والعلاج فى أن يرغبوا عن المدن الكبيرة قليلا فيؤسسوا بعضا من منشآتهم النافعة فى الأقاليم وبالتالى يرغب فيها الأطباء فيعم النفع ويتم توزيع وسائل العلاج على البلاد توزيعا معقولا .

واجب الممرضين

لا نزاع فى أن الأعمال الملقاة على عاتق الأطباء فى المستشفيات شاقة متعبة فوق كونها كثيرة لا تطاق، ولا نزاع أيضا فى أن كثرة الأعمال تبيح الامراع فيه وعدم التريث، ولقد نشأ عن هذا الإرهاق أن ألقى بعضا منه على عاتق الممرضين والممرضات فى المستشفيات الحكومية، فأصبح الممرض أو الممرضة مسؤلا عن علاج المريض ورعايته والاهتمام به كـ « نصف طبيب » فالممرض فى المستشفى العام أو الخاص يوكل اليه مقياس الحرارة وتقديم الأدوية وتغيير الأربطة للجروح واعطاء « الحقنة » واسعاف الخطورة التى تنشأ بغتة وما إلى ذلك ومما تستلزم رعاية المريض، وكل هذه واجبات لايستهان بها لأنها الخطوات الطبية نحو المستشفيات، والاخلال بها أو التهاون فى تنفيذها طبقا للنظم الطبية فيه ما فيه من خطورة على المريض، وفيه ما فيه من افساد للعلاج وضياع للتداوى، وهى فى الوقت نفسه أمور لا يتسع وقت الأطباء للقيام بها وليس لها من يقوم بها سوى الممرض أو الممرضة لذلك وجب أن يعنى بتهيئة هذه الطائفة تهيئة صالحة طبية، فلا يكفى أن يكون الممرض ذا تجارب فى العيادات الخاصة حتى يباح له العمل فى المستشفيات فالممرض مساعد للطبيب فى تنفيذ العلاج الطبى بالدقة التامة فليس بكبير عليه أن يتلقى أصول التمريض فى مدارس خاصة تنشأ خصيصا لهذا الغرض يتلقى فيها بعض المعلومات الطبية ويلم بشئ من معرفة الأمراض والأدوية بأنواعها المختلفة، وعلى أن فى «قصر العينى» قسما يهيئ ممرضات للمستشفيات فأن هذا ليس كافيا اذ أن المتخرجات فى هذا القسم كثيرا ما يقمن بأعمال الحكيمات قبل التمريض، على أنهن قليلات جدا بالنسبة الى عدد الممرضين والممرضات الذين يعملون فى كافة المستشفيات أو دور العلاج الخيرية، هذا ما يلزم أن تهيئ به الممرض من الناحية الثقافية أو الطبية، وبقى ما يجب أن نعنى به من الناحية الإدارية لهؤلاء الممرضين .

المرضى أمانة وديعة فى أيدى الأطباء اولا ثم فى أيدى الممرضين ثانيا ، ولا ينبغى أن ينوء الطبيب تحت إرهاق العمل فيتسرع فى العلاج أو يكتفى ببعض منه ولا سيما للمرضى الذين يعالجون بالمجان ، و إن حادثة المريض الفقير الذى خرج من المستشفى قبل أن يتم علاجه لتحفزنا إلى الإشارة إليها دون تعليق... ...والممرض هو الأمين الثانى بعد الطبيب ولضمان تأدية واجبه على الوجه الأكمل ينبغى ألا يتهاون معه إذا قصر فى واجبه ، و ينبغى أن توضع له اللوائح والتعليمات الكافية وأن يؤخذ أخذا لا هوادة فيه بتنفيذها ، والممرض فى حاجة إلى دقة الإشراف على عمله واليقظة إلى تصرفاته مع المرضى وأحسب أن الشدة والحزم من الوسائل التى تكفل لنا قيام الممرض بعمله وفقا لتعليم الطبيب ونظمه العلاجية ، ولقد سمعنا عن بعض الحوادث ما يضطرنا إلى أن ننبه إلى وجوب الإشراف عليهم إشرافا دقيقا دون مجاملة أو عطف أو تساهل ما دام بيدهم أرواح المرضى وما دام هذا عملهم الذى يكافئون عليه بالأجور أو المكافآت .

فى البلد مئات من الشبان المتعلمين والمثقفين ثقافات ابتدائية أو متوسطة فلماذا لا ننتفع بهم بفتح مدارس للتمريض لا تزيد مدة الدراسة فيها عن عام واحد يلتحق بها هؤلاء الشبان ثم يحصلون منها على إجازات للتمريض بمرتب مشرف معقول ؟ وما أظننى مخطئا إذا قلت إن هؤلاء الشبان وأمثالهم يقنعون هذا النوع من العمل فى حدود المرتب المعقول ، وأى شىء يمنعنا من إنشاء مدارس للتمريض للفتيات تضم إلى مدارس البنات التابعة لوزارة المعارف يكون لها منهج خاص للتمريض وأصوله وطرقه وفنونه مع الإلمام بمبادىء الطب فى دائرة محدودة ؟

إن التمريض فى ذاته عمل إنسانى نبيل وهو من أشرف الأعمال وأسماها فى الأمم الغربية ، وأنك لتجد فى الممرضين أو الممرضات الأوربيات من هن ذوات حسب عريق وجاه عريض ومن هن ذوات ثقافات عالية وتجارب واسعة ، وهن على عملهن هذا ذوات أمكنة عالية فى المجتمع الذين يعشن فيه ، ولقد أقبلت فتياتنا فى هذا العهد على الاشتغال بالتمريض فنجحن فيه و برهن على استعدادهن الكامل للقيام بهذا العمل الشريف ، و ياحبذا لو أخذ ولاة الأمور بهذا الاقتراح ففتحوا المدارس الخاصة بالتمريض "للبنات" وهن بفطرتهن يملن إليه لأنه جزء من غرائزهن أو لأنه أمومة فى دائرة أوسع وطريقة أعم .

قيود المستشفيات !

ذكرتنى حادثة المريض الذى أشارت إليه الصحف بما لقيود المستشفيات من أضرار تصيب المرضى فى حالات الإنقاذ... هذا مستشفى خيرى لا تبيح له لوائحه أن ينقذ مريضا

محـوما مثلا ، وذلك آخر لا تبيح له نظمه أن ينقذ جريحا فى حادثة فعـلا ، وذلك ثالث لا تسمح له قوانينه باسعاف ملدوغ أو محروق ، هذه قيود ولا شك لها أسس تتعلق بنوع المستشفى وطرق العلاج فيـه وتخصيصها بناحية من الإنقاذ ، وهى و إن كانت فى ظاهرها مقبولة عقلا إلا أنها غير مقبولة من الناحية الإنسانية التى لا تتقيد بلوائح أو تخصيص ، إن أول واجب على المستشفيات بأنواعها المختلفة حكوميـة وغير حكومية الإسراع بالانقاذ أما العلاج فهذا امر ثانوى تقوم به الناحية المختصة به ولكن بعد أن تتم عملية الإنقاذ السريعة التى هى واجب إنسانى يقوم به كل مستشفى وكل عيادة خاصة وكل طبيب بل كل إنسان قادر على الإنقاذ .

تقع الحادثة أحيانا لشخص قائم يقضى نحبه دون إنقاذ فيضيع ضحية الاجراءات الشكليـة التى تتعلق بما يسمونه " ناحية الاختصاص " هذه ظاهرة وتلك قيود ينبغى أن تزول وينبغى أن يكون لدينا من التشريعات الاجتماعية ما يمحو كل عرقلة طبية فى إنقاذ المصـاب ، والاصابات كثيرة الوقوع فى كل لحظـة والاتصال بالمستشفيات أو جمعيات الأسـعاف يستنفذ بعضا من الوقت هو بالنسـبة الى المصاب وقت كبير قد يؤثر على حياته بالضرر ، والذى يستطيع أن يساهم فى الإسراع بالإنقاذ هى عيادات الأطباء الخاصـة والصيدليات ثم المستشفيات اذا تجاوزت — ويجب أن تتجاوز — عن قيودها التى فرضتها ناحية اختصاصها عليها ، ولن يكون هذا أمرا محتوما ما لم تحتمه التشريعات والقوانين ، وما لم يوضع للتهاون فى الانقاذ نوع من المؤاخذة أو العتاب اذا اقتضى الأمر هذه مساعدات انسانية لو عدمت بين أفراد الشعب انهار أساسه الخلق وتفشى فيه روح الهمجية وعدم المبالاة ، ونحن شعب له أساس نفسى وله رابطة اجتماعيـة قائمة على ذلك الروح الذى يمحو الأنانية ويميت الخمول النفسى ويوقظ المروءة ويحبب الى التضحية الشريفة التى هى رمز لرقى الاجتماع .

" قايد العمروسى "

مسئولية الرجل

قبل الزواج وبعده

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

لكل منا مسؤوليات فى الحياة ، يحتم عليه واجبه الإنسانى تحمل أعبائها ، والعمل على الوصول بها إلى أعلى درجات السمو والكمال ، حتى يمكنه أن يكون فردا ناجحا يزهو بإنسانيته ، ويفاخر بذاته كعضو عامل فى المجتمع .

"و إن كان لنشأة الإنسان ومقدار ما يحصله من ثقافة وتهذيب أثر كبير فى رسم طريقه فى الحياة ؛ فللمجهود الشخصى أيضا أعظم الأثر فى تعبيد ذلك الطريق والوصول بصاحبه إلى أعظم درجات المجد والرفعة .

و إنه لمن الظلم أن ننسب عبوس الحظ إلى الرجل الخامل الكسول ، وابتسامته واشراقه إلى النشيط السعيد ، مع أن الحظ براء من هذا الخلط ، فالأقدار تريدنا دائما فى صورة كاملة عظيمة ، ولكنها تترك لنا الاختيار فى اجتياز طريق الحياة ، ولنا بعد ذلك ما نريد . فإما أن نعرف واجباتنا ، ونقدر مسؤولياتنا فنتحملها بشجاعة وإقدام ونسير بها قدما إلى السعادة والنجاح ، و إما أن نجبن ونتراجع فنرمى بأنفسنا إلى المصير المجهول الحافل بصنوف الشقاء والآلام" .

ومسئولية الحياة رغم صعوبتها لذيذة مشوقة لكل من يعرف جمال اللذة الحقيقية فى الحياة والسعادة الحقيقية هى التى لا يصل الإنسان إليها إلا بعد أن يتحمل فى سبيلها من المشاق ما يتحمل ، و بعد أن يجاهد فى اجتياز عقباتها بصبر وجلد ، حتى إذا ما وصل "فى طريق أحلامه" إلى القمة الزاهرة ؛ وقف مزهوا رغم ما أصابه من وعثاء الطريق ، لينظر فى اعتداد إلى ثمرة جهوده وقد آتت أكلها . . .

فلولا عذاب الأمل ما استسغنا لذته ، ولولا لذة الألم ما عرفنا يوما سعادة الأمل فى الحياة .

ولعل فى هذه الكلمات البسيطة معنى ظاهرا لما غمض على هؤلاء الذين يتساءلون عما إذا كان الزواج حقا مسؤولية خطيرة ، أو هذا الذى يتساءل كيف أكون رب أسرة ناجحا ؟

إنها ولا شك أسئلة عجيبة من رجال الجيل الحديث ، إن دلت على شيء فعلى عظم تأثرهم بأقوال بعض هؤلاء الذين لم تؤهلهم طبيعتهم أو ميولهم ليكونوا أزواجا ناجحين فى الحياة أو هؤلاء الذين يشعرون بنقص فى ذاتهم يصوّر لهم خطورة الزواج لافتقارهم إلى طبيعة الرجل الكامل فعمدوا إلى تصوير الزواج فى صورة وهمية رهيبة ملأوا بها عقول بعض الناس وشوهوها بسموم أفكارهم وهم فى ذلك يقولون ما قاله ثعالة فى العنقود عند ما عز عليه الوصول إليه.

ولا شك أننا ندرك عظم حاجتنا إلى تفهم التعاليم الزوجية كى نعرف أن الزواج هو عقد قانونى بين رجل وامرأة ، يقوم على صداقة مشتركة بينهما ، ويفرض على كل منهما واجبات ومسئوليات نحو أنفسهما ، ونحو أولادهما ، ونحو الهيئة الاجتماعية أيضا ، وهذا العقد لم يعمل لتحقيق رغبات خاصة ، وإنما شرع لوضع أساس بناء العائلات .

ولما كان وجود الأسر المتينة البنيان ضروريا لخير الإنسانية ، وجب على كل فرد أن يساهم فى القيام بنصيبه من هذا الواجب بعد أن يكون قد عرف حقيقة مسؤولياته وماذا يجب عليه أن يفعل فى مختلف أطوار شبابه ، حتى إذا وجد أنه قد قام بدوره كاملا فى الحياة ، ورأى أنه قد بلغ السن الذى يؤهله للزواج ، أقدم عليه بجرأة واعتداد واثقا أنه سيكون ولا شك رب أسرة محترم يعتد برجولته ، ويزهو بكرامته .

فمسئولياته قبل الزواج تنحصر فى إعداد مستقبله والنضال فى سبيل الوصول إلى طريق النجاح بخطوات واسعة ملموسة ، ناظرا للمستقبل ، وللمستقبل فقط ، حتى يمكنه ذلك أن يرتشف من ينابيع المجد كؤوسا مترعات ، ويواجه تلك الخطوة الجديدة ، خطوة الزواج بما يجب لها من الاحترام والتقدير متخذا للوصول إليها ما يلزم من احتياطات مشرفة للرجولة الحقة .

فيعمل ما استطاع على اختيار شريكة حياته من طبقة تماثل طبقته وذات ثقافة تقل قليلا عن ثقافته أو تماثله .

وليس معنى هذا أن تتخذ فكرة الزواج سلما لتحقيق المآرب الشخصية ودخول البيوتات ومعرفة أسرار الأسر والتندد بها فى المنتديات بين الأصدقاء والمعارف فإن هذا ولا شك يسيء إلى سمعة الرجل إساءة بالغة ، وينفر الناس منه .

وليس أحقر من رجل يعمد دائما إلى سرد القصص ، كاذبة كانت أم حقيقية عن مغامراته مع الفتيات الساذجات وعن صولاته وجولاته فى ميادين العربدة والمجون .

وبهذه المناسبة أذكر أننى أعرف عائلة لا يمضى على أفرادها أسبوع إلا وهم يقيمون الدنيا ويقعدونها ، ويرسلون الدعوات إلى الأهل والمعارف لمشاركتهم فى الذهاب لرؤية

فتاة جديدة لابنهم البكر . وناهيك بما تسمعه بعد عودتهم الفاشلة دائما من مختلف الأقاويل، مدح وقدح ، وإعجاب وسخرية، وشفقة ورثاء ، تتناقل من فم إلى فم، ومن حى إلى حى، حتى تصبح سير العائلات وأخبار الفتيات بين الناس قصصا للأثرة والأقاويل .

وهذا الأمر زيادة عن أنه شائن وضيع ؛ فهو أيضا يشوه فكرة الزواج عند الشباب ويصورها أمامهم فى صورة مخزية مخالفة للواقع فى كل شىء .

وانى لواثقة من أن مثل هذا الابن بعد أن ألحت عليه فكرة الزواج ، وعاش زمنا يتأمل فى حقائقها ، سوف تدفعه الحياة رغما عنه يوما ما إلى سلوك الطرق الملتوية فى اختيار شريكة حياته ، ولا يبعد أن تكون تلك الفتاة الموعودة أول من يقابلها فى الطريق دون التطلع إلى قيمتها الحقيقية أو مركزها الاجتماعى .

وعند اختيار الزوجة يجب ألا ندع للظواهر الكاذبة كل الأثر فى نفوسنا ؛ فنغتر بالجمال الخارجى والاناقة المصطنعة ، دون التطلع إلى مايخفيه ذلك الستار الزاهى من حقائق . فكم من جمال ضل الناس مع تياره وغرقوا فى بحاره ، فإذا بهم يصطدمون بما تقع عليه أعينهم من جيف ونتن . وكم من جميلة جعلت — بقبح نفسها — من حياة زوجها مذلة وهوانا .

فالجميلة حقا هى من جمعت إلى جانب تناسب قسماتها جمال النفس وصفاء الروح . ومن أقوال الشاعر جبران فى حقيقة الجمال "إنه فى قلب من يشتاقه أسنى مما هو فى عين من يراه" وهذا لأن جمال المرئيات زائل بزوالها ، أما الجمال الكائن فى دخائل النفوس ، فهو ذاك الذى نشتاقه دائما ولا نعرف ماهيته .

وليس بالعسير على الرجل الناجح أن يجد ضالته المنشودة فى الحياة ، كما أنه ليس بالعسير أيضا أن يكون رب الأسرة موفقا ، إذا أمكنه أن يلم ببعض قواعد الحياة الزوجية السعيدة وهى فى الواقع بسيطة غاية البساطة لاتستحق إلا مجهودا عاديا للعمل بها .

فالرجل كى يوفق فى حياته الزوجية ، عليه أن يعمل قبل كل شىء على الاحتفاظ بمكانته كرب أسرة محترم ، وهذا لن يتوفر له إلا إذا كان مهذبا قوى الشخصية ، يمكنه أن يترك دائما أثرا مشرفا فى قلوب من يرونه ، فلا يكون مهذارا دائم الضحك والعبث ، ولا ماجنا كثير الصخب والمرح ...

والتوسط فى كل شىء جميل ، ولكل شىء وقته الملائم ، وأن يكون مع زوجته كريما فى حزم ، رضى الأخلاق بغير لين أو تهاون ، متسامحا دون إفراط ، يعرف ما يجب أن يقال ومالا يقال ، وما يجب أن يصلح للحياة ومالا يصلح ، يزن دقائق الحياة بميزان العاقل البعيد النظر ، ويقدر أقواله وأفعاله قبل أن يقدم عليها ، وأن يعتقد أنه ليس إلا مرآة

تنعكس على صفحتها شخصية زوجته ، فإن كانت تلك المرآة مصقولة نقية العنصر ، أظهرتها فى صورة مشرقة مهذبة ، و إن كانت رخيصة غياء خلعت عليها ظلمة وتشويها .

ومما يخلق أكثر المشاكل العائلية أن يكون الزوج كسولا متبلدا ، إن قضى بعض الوقت بالمنزل فلا عمل له فيه إلا الأكل والنوم ... أو مستهترا يقضى كل أوقاته فى الخارج ولا يزور البيت إلا لماما حين يود أن يملأ جوفه بالطعام .

تلك حالة نلمسها فى أغلب بيوتنا المصرية ، إن دلت على شىء فعلى أن بعض الرجال مازالوا يقدمون على الزواج وهم جاهلون كل الجهل بأبسط واجباته غير مقدرين حقيقة مسئولياته . ولعمرى لايستحق هؤلاء أن يكونوا أزواجا وآباء ، ولا غرو فى أن تكون حياتهم الزوجية دائما تعسة فاشلة .

فليس رب الأسرة إلا هذا الذى يعرف كيف يكون نوتيا و ربانا يدير دفة أسرته بدقة وحزم ويحافظ عليها من أن تعصف بها الأنواء ، لا ذلك الذى يترك كل شىء للزوجة و يعتمد على مجهودها الفردى . فتنعدم سلطته كزوج وأب ، ويفقد احترامه فى نظر الجميع .

و إن هذا الإهمال من جانب الزوج يشجع الزوجة على إهمال واجباتها نحو منزلها ونحو أبنائها ، هؤلاء الأبناء الذين يشبون فى محيط يتخبط فى ظلمات من سوء التفاهم ، بعيدين عن عناية الأم ويقظة الأب . فتسوء نشأتهم و يتشوه مستقبلهم ، ويكونون نواة فاسدة فى قلب المجتمع .

فرب الأسرة ملزم باستطلاع كل دقائق المنزل والإلمام بكل مايدور فى محيطه يوميا ، وليس فى هذا أى ضياع للوقت كما يتصور بعض الناس ، أو أن فيه خروج من الرجل عن حدود مسؤولياته ، فإشراف الرجل على أسرته واجب كواجب البستانى نحو حديقته ، إن تعهدها بالسقى أينعت ، و إن أهملها جفت وذوت .

و إن المرأة لو علم الناس لمخلوق وادع رقيق فى حالة دائمة إلى مساعدة الرجل وتلقى نصائحه مهما كانت درجة ثقافتها ومعرفتها ، لأنها ليست إلا طفل كبير فى حاجة إلى الرعاية المستمدة ، ومن واجب الرجل أن يشملها بتلك الرعاية وأن يبذل لها النصح والإرشاد من حين إلى حين ، على أن يكون رقيقا فى إبداء تلك النصائح بحيث لا يجرح كبرياءها أو يمس كرامتها .

ولا يحط من قدر الرجل فى عينى زوجته أكثر من أن يعمد إلى تقريعها بكلمات نابية تتعود على تبادلها و إياه على مر الأيام ، وناهيك بما تلوكه ألسنة الخدم من القصص والمبالغات حول هذه الأمور فى الطرق والبيوتات الأخرى .

فالرجل العاقل يمكنه أن يعمل على تكوين شخصية زوجته كما يحب بما يبديه أمامها من عادات وما يظهره فى أقواله من آراء .

وكلما كان الرجل عائليا يميل إلى الحياة الوادعة المستقرة كلما التفت حوله قلوب أفراد أسرته وكانت له بينهم مكانة عظيمة ومحلا ملحوظا يظل شاغرا كلماغاب عنه . ومن الغريب أن يتذرع بعض الرجال فى غيابهم الدائم عن منازلهم بحجة قتل الوقت مع الأصدقاء بلعب الورق والمسامرة ؛ مع أنه فى إمكان الرجل العاقل أن يستعيض دائما بزوجته فى مشاركته سائر ألعابه بالقليل من الإرشادات ، فاذا كان ولا بد من قتل الوقت ، مع أن الوقت هو الذى يقتلنا لا نحن ، فمن اللائق أن يكون ذلك مع الزوجة حيث يكتسب الزوج شريكا مخلصا لا جليسا منافقا ، يتناوله وراء ظهره بالقدح ولاذع الأقاويل .

ولا شك أن هذا الأمر منه سيغمر البيت بالسعادة الدائمة ، ويشيع فى جوه البهجة والسرور ويجعل الزوجة تتفانى فى إرضائه والعمل على إحاطته بكل أسباب الراحة والهناء .

على أن يحاول دائما إبداء إعجابه بما تعمل زوجته ، فيثنى على طريقتها فى تنسيق الأثاث ، وانتقاء ألوان الطعام ، واختيار ملابسها وطريقتها فى تصفيف شعرها إلى آخر ما يملأ قلب المرأة سعادة واطمئنانا ، لأن ذلك يشجعها على بذل كل مجهود للوصول بنفسها إلى ما يجب أن تكون عليه المرأة الكاملة ...

ويجب عليه أن لا ينسى ضرورة إهدائها هدية بسيطة فى المناسبات ، تشعرها بمحبته لها واهتمامه بارضائها ، وقد يكون لباقة من الزهر أو كتاب مشوق رغم تفاهة ثمنها أثر جميل فى نفس الزوجة المثقفة .

وإذا مرضت يوما وأقعدها المرض عن أداء واجباته فلا يظهر لها تأففا وامتعاضا ، وليذكر مدى ما كانت تبذله من جهد كى توفر له السعادة والهناء .

وإنى أرى قبل أن أترك هذا الموضوع أن أعرض أيضا لهؤلاء الذين قد سرى فى نفوسهم داء تعدد الزوجات فانساقوا وراء رغباتهم الدنيئة وجشعهم المرذول حتى أصبحوا يرون فى كل زواج جديد هواية مألوفة .

فالواحد منهم يظن أنه بتعدد زوجاته يحث بذلك عن مثله الأعلى وسعادته المنشودة ومع ذلك فهو خاطىء يموّه على نفسه وعلى الناس ، وإنى أبشره بالفشل الذريع وتولى شبح السعادة عنه مهما تلمسه فى ظلماته ، فالنساء جميعهنّ نساء مهما حاول الرجل تفضيل بعضهنّ على بعض ؛ وأخلاقه وطباعه معهنّ هى التى تسعده وتشقيه ، وليس بمستحيل على كل رجل أن يخلق من زوجته نموذجه ووحى آماله .

وتعـدد الزوجات لا يمكن أن يجنى منه الرجل غير الحسرة الدائمة والألم المرير ، فما دام الرجل لا يعرف كيف يسير سفينة حياته بامرأة واحدة فهو بالأحرى سيكون عاجزا عن ذلك مع اثنتين أو ثلاث .

وأن هـذا الذى قد جعل الزواج تجارته ، متناسيا كل شعور بانسانيته ، لأولى به أن يكون حيوانا يعيش بين العجماوات .

وإنى كواحدة من بنات جنس أؤكد لكل رجل بان امرأة المزواج لايمكن أن تكون مخلصة له مهما كانت درجة ثقافتها و بيئتها ، وهذه ولا شك مسألة لاتخفى على كل من لديه القليل من الفطنة والذكاء .

وهاأنذا أسوق لكم مثلا بسيطا تجاورنا عائلة و بهاذوزوجتين ، أولاهما غير مثقفة ، والأخرى وهى الجديدة ذات ثقافة عالية ، ماذهبت الأولى مرة لطبيب الأسنان إلا وذهبت الثانية لطبيب الأنف والحنجرة ، وما اشترت الثانية ثوبا جديدا إلا ومزقت الأولى أحسن ثيابها وأعطتها للخدم كى يكون لها نصيب الثانية من شراء الثياب ، وناهيك بمايحدث للزوج المسكين إذا أقعده المرض يوما عند إحداهما فلم يذهب إلى الأخرى فى ميعاده المحدد ، وما يتهم به من تفضيل إحداهما على الأخرى مما يقيم عليه الدنيا و يقعدها .

ولا يمكنك أن تدخل منزلا كهذا دون أن تتصدع رأسك بمختلف الأقاويل المملة من كل من الزوجتين عن الأخرى مما يجعل زيارتهما ممجوجة لاشىء فيها إلا الحديث عن الزوج الأبله الذى وضع نفسه مختارا بين يدى متنافستين قدجعلهما الحقد شيطانتان فتفننتا فى تمزيقه كما شاءت قدرتهما على الكيد والتنمر ...

وما لنا نذهب بعيدا وأمامنا المحاكم الشرعية بما تزخر يوميا من قضايا النساء ومشاكلهن العديدة التى يخلقها بعض الرجال بقصر نظرهم وغفلتهم .

إن المجتمع لايطلب من الرجل شيئا أكثر من أن يكون رجل ضمير ، رجلا عادلا يدرك مايقتضيه العدل والشرف من واجبات ومسئوليات .

ولا شك أن اليوم الذى يستيقظ فيه فى الرجل الضمير ، سيكون يوما يسعد فيه المجتمع وتستقر أحوال الأسرة ، و لا يبقى هناك مجال لقوانين أو تشريعات ما

زينب محمد حسين

فى المدرسة الريفية بقرية المنايل

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

ليس بين المعنيين بالمسألة الاجتماعية من يجهل اسم المنايل، تلك القرية التى فازت بين ألوف القرى المختلفة باختيارها المركز الاجتماعى الأول والمقر المنتقى لتجارب المشتغلين بأمر الريف العاملين لنهضته . لذلك كان لزاما علينا ونحن نترسم فى هذا الباب خطى الإصلاح ونقتفى آثاره، أن نعرض لتجارب المنايل عرض الباحث الفاحص لنرى مبلغ ماحققته ومدى ما أسفرت عنه تلك الاختبارات التى مضى على القيام ببعضها سنوات ثلاث .

قام العمل الاجتماعى بالمنايل بجهود هيئات أربع : الأولى وزارة الشؤون الاجتماعية، والثانية جمعية الدراسات الاجتماعية ، والثالثة رابطة التربية الحديثة ، وأخيرا مجلس مديرية القليوبية . تعاونت هذه الهيئات على القيام بعمل جديد فى بابه فأنشأت بهذه القرية أول مركز اجتماعى وألحقت به مستوصفا ومركزا لرعاية الطفل والأمومة، وانشأت كذلك المدرسة الريفية الأولى التى أقامتها جمعية الدراسات الاجتماعية بإشراف رابطة التربية الحديثة، وتولى مجلس المديرية الإنفاق عليها .

ولما كانت مسألة التعليم الشعبى من أمهات المسائل الاجتماعية التى تشغل الأذهان اليوم ، وخاصة أن ولاة الأمور يعنون الآن بإعداد سياسة تعليمية جديدة لما بعد الحرب القائمة، وقد طلبت وزارة المعارف فعلا إلى المشتغلين بالتعليم أن يوافوها بما يعن لهم من رأى أو اقتراح ، لذلك رأينا أن نفرد فى هذا بحثا خاصا للمدرسة الريفية باعتبارها تجربة عملية وتطبيقا لنظرية حديثة خرج بها لفيف من صفوة المشتغلين بالتربية فى البلد من نطاق الفكر إلى حيز التنفيذ .

فلقد ظلت مكافحة الأمية إلى عهد قريب هى الهدف الأسمى للتعليم الأولى حتى كان العصر الحاضر وما اتسم به من بروز المسألة الاقتصادية كعامل أساسى ملازم لكل جهد إصلاحى . عند ذلك عمدت المدرسة الحديثة إلى العناية بالمران العملى فى المهن التى تتصل بالبيئة حتى يزود النشء بثقافة تطبيقية يتمكن بها من اكتساب عيش ميسور — إذ ليس أضر من أن نثير بالمعرفة معالم حياة لا يجد الأحياء إلى التمتع بخيرها سبيلا ، إنما ينفع العلم

ويؤتى ثمره حين ينهض بمستوى العيش تهوضه بمستوى الفكر هذا ما انتهى إليه رجال التربية الحديثة فى العالم كله وما قام بترديده كبار المشتغلين بالتعليم بمصر فى كتبهم وفى محاضراتهم وأبحاثهم ثم فى تجربتهم العملية التى نعرض لها اليوم فى مدرسة المنايل الريفية .

فى المدرسة :

فهناك فى الطريق المجاور لبلدة كفر حمزة من أعمال مركز شبين القناطر يرى المشاهد أكواما من اللبن متراصة متجاورة تتوسطها ثلاثة أبنية بيضاء تحوطها الحقول من كل جانب. هذه هى قرية المنايل، وتلك هى مؤسساتها العامة: المدرسة والمستشفى ومركز رعاية الأمومة والطفل التابع للمركز الاجتماعى .

أما المدرسة فتقوم على جناحين متقابلين يفصلهما فناء فسيح، وقد حوى أحد الجناحين فصول التدريس وضم الآخر المعامل الصغيرة التى سنتناول الكلام عنها باسهاب فيما بعد .

وتضم المدرسة مائتين وثلاثين تلميذا وتلميذة من قرى المنايل وسندرة وكفر حمزة .

ويشرف عليها ناظر من خريجى كلية الزراعة يعاونه أربعة مدرسين للمواد النظرية واثنان للصناعات ومعلمتان للأشغال اليدوية والفنون الطرزية .

ومنهاج الدراسة جديد فى بابه وهو مأخوذ عن نظم التعليم الحديثة فى أمريكا وفى أوربا، فهو يبدأ بالصلاة ثم بدروس نظرية للبنين فى لغة البلد والحساب وفى المعلومات العامة من جغرافيا وتاريخ وتربية وطنية فى وقت تشتغل فيه البنات بدروس عملية ، فإذا كان النصف الثانى من اليوم خرج البنون إلى أماكن الدرس العملى وحلت البنات محلهم وهو نظام مأخوذ من بعض المدارس الأمريكية The Gary Schools وبه يتيسر الانتفاع بالمكان و بالمعلمين طول اليوم .

وإن من أظهر ما تمتاز به المدرسة الريفية مسايرتها البيئة التى يعيش فيها الأولاد، فزيهم جلباب من القماش المعروف بالدمور وطاقية، و بينهم الكثيرون حفاة الأقدام (وهو أمر نرجو أن يعمل مجلس المديرية على تلافيه، وخاصة أن البلد يعمل اليوم على مقاومة الحفاء) وقد كان الأولاد إلى عهد قريب يحيكون ملابسهم على أنوالهم بالمدرسة، إلا أن مجلس المديرية رأى إمدادهم بالملابس المجانى هذا العام — وتدور دروس المدرسة الريفية كذلك حول البيئة، فالمطالعة والحساب ودروس الرسم كلها عن الفلاح وحياة الفلاح وزرعه وبيته وسوقه ومواشيه وحبوبه. كذلك يراعى البدء بالمشاهد فى البيئة المحيطة فى دروس التاريخ وعلم تقويم البلدان وفى التربية الوطنية ، فالطريقة الاستقرائية هى المتبعة فى كافة الدروس ، فمن الخاص الملموس ينتقل المعلم إلى العام البعيد — وقد حضرنا درسا فى المعلومات العامة بدأ فيه المعلم بسؤال الصغار

عن اسم البلد الذى يسكنون، ثم عمن يحكم هذه القرية وعما يتكون من مجموعة القرى المتجاورة واسم الوحدة التى تضم المراكز المتقاربة ، ومن يديرها وهكذا تدرج المدرس بالأولاد من الأقسام الإدارية الصغيرة فى الإقليم إلى الأقسام السياسية التى تنتهى بتعريف الدول والقارات.

على أن أهم ما تمتاز به المدرسة الريفية ويسمو بها عن مراتب التعليم الشعبى العام من إلزامى وأولى عنايتها الكبيرة بالدراسة العملية، إذ تخصص نصف اليوم للعمل اليدوى الذى يكسب الصغير مرانا يمكنه من مزاولة المهن التى تتصل ببيئته وحسبنا أن نعدد مرافق مدرسة المنايل كما شاهدناها :

أولا — حقل مساحته أربعة أفدنة يقوم الأولاد بالعمل فيه ساعات معينة بمعاونة اثنين من الفلاحين يحرثونه ويبذرون به الحب ويسمدونه — ويتعهدونه بالسقاية والعناية وهكذا يجدون الفرصة لدراسة فن الزراعة بإشراف ناظرين الملمين بأصولها .

ثانيا — مصنع صغير به أنوال لنسج الأكلمة الصوفية والسجاجيد والأقمشة الشعبية وقد شاهدنا بهذا المصنع قطعا من السجاجيد البديعة الصنع وأقمشة قام الصغار بنسجها بأيديهم كما أطلعنا المعلم على تصميمات أدهشنا أنها من وضع الأولاد ومن مبتكراتهم .

ثالثا — فناء للدواجن به أنواع مختلفة من الطيور الممتازة يقوم الأولاد بتربيتها وبيع بيضها لسكان القرية رغبة فى تحسين الانتاج والاكثار من الأنواع المنتجة .

رابعا — منحل صغير يتكون من خليتين حديثتين تنتج الواحدة مائة رطل من العسل فى السنة ولا ريب فى أن تربية النحل من أفضل ما ينبغى أن يدرس ويعمم بالريف . اذ يدر كسبا وفيرا دون أية نفقة .

خامسا — حجرة لتربية دودة القز وبها جهاز بخارى لفك الشرانق .

سادسا — حجرة لصناعة الخيزران يجاورها مكان لصنع أثاث وأسوار من جريد النخل .

سابعا — معمل صغير للربيات والشراب والخضر المحفوظة .

وقد استلفت أنظارنا فى سير العمل بالمدرسة ثلاثة أمور :

(الأول) أن القائمين بأمرها جعلوا من التدريب العملى فرصة لتثبيت المعلومات النظرية ناهجين فى ذلك الطريقة المعروفة عند المشتغلين بالتربية بطريقة المشروع The Project Metod إذ يعمدون الى تكليف الأولاد بقياس ووزن وكيل المنتجات ثم سؤالهم عن مواطن إنتاج كل منها وتعريف هذه المواطن مما لايدع مجالا لنسيان ما تلقوه فى حجرات الدرس من معلومات .

(الثانى) تبث المدرسة الريفية فى أبنائها روح التعاون والاقتصاد إذ نظمت بينهم جماعة تعاونية اكتتب الأولاد بأسهمها وهم يتولون بأنفسهم شراء بعض منتجات المدرسة وبيعها للأهلين وحساب الربح وتوزيعه ورصده كل فى دفتره الخاص .

(الثالث) أن المستوى الثقافى للأولاد رغم إشغال نصف يومهم بالزراعة والصناعة أرقى بكثير من المستوى فى المدارس الأولية ولا نكون مبالغين اذا قلنا أنه يفوق مستوى المدارس الابتدائية فلقد شاهدنا صغارا لا يتعدون السابعة يدرسون بعض ما يدرس فى السنة الثالثة الابتدائية وقد كلفت بنفسى طفلا فى السادسة اسمه الشاعر بحل مسألة تتضمن القواعد الحسابية الأربع فقام بحلها فى سرعة وعناية .

ولم يشأ القائمون بأمر المدرسة أن نتركهم قبل أن يطلعونا على بعض مظاهر النشاط المدرسى فبعد عرض رياضى لمسنا فيه أتم العناية بصحة الأولاد وروح النظام التى بثت فيهم بعد هذا انتقلنا الى الحقل حيث أمضينا بين هؤلاء الأبناء ساعة من أمتع الساعات وأسعدها فهناك بين زرع نبت بعناية الأولاد وازدهر بسقايتهم أطلعنا الصغار على صور أخاذة من صور الريف وأسمعونا ألحانا عذبة فى التغنى بالريف وبالإشادة بجماله وسعادة العيش فيه .

عند صاحب المشروع :

وفى كرمة هادئة فى ضاحية الزيتون جلسنا الى الأستاذ محمد فريد أبو حديد صاحب مشروع المدرسة الريفية والذى رعاه وباشر تنفيذه والاشراف عليه الى عهد قريب ، جلسنا نستمع الى قصة ذلك المعهد الذى نرى فيه العمل المثالى الصالح للتعليم الشعبى بريف بلادنا قال : فى عام ١٩٢٥ عقد المشتغلون بالتعليم فى البلاد مؤتمرا للتعليم الأولى تناولوا فيه مناقشة سياسة التعليم الأولى فى البلاد وما ينبغى أن تقوم عليه ، وعلى الرغم من اجماع شهود المؤتمر على وجوب تغيير أسلوب التعليم الحاضر واقامته على أسس جديدة أسوة بما يفعله الغربيون الذين جعلوا من المدرسة الأولية معهدا يعد الصغير لحياة عملية تتفق مع البيئة التى نبت فيها على الرغم مما قيل فى هذا المؤتمر الذى عقد قبيل انشاء المدارس الالزامية فقد قام التعليم الالزامى على ذات النمط الساذج الذى قامت عليه كتاتيبنا القديمة والذى لا يهدف لغير غاية واحدة هى مكافحة الامية لا أكثر ولا أقل .

وصمت الأستاذ قليلا ثم عاد يقول " وكان طبيعيا ألا تلقى هذه الخطة ارتياحا من رجال التعليم وخاصة من ألم منهم بأصول التربية الحديثة ووقف على ما تتجه الدول الغربية من

سبل موفقة فى هذا الباب لذلك لقى التعليم الالزامى نقدا مرا من المشتغلين بالتعليم ونوقشت سياسة التعليم فى مقالات ومحاضرات وأبحاث عديدة وكان فى مقدمة المعنيين بهذا رابطة التربية الحديثة ، وتابع الأستاذ فريد حديثه فقال :

"وفى عام ١٩٤٠ قامت الرابطة لمناسبة وجود المسيو بوقيه من علماء التربية فى مصر قامت بعقد اجتماع كبير نوقشت فيه سياسة التعليم الشعبى وعرضت فيه لعدة أبحاث تشرفت بإعداد أحدها . ثم تقدم المجتمعون الى وزارة المعارف حينذاك برجاء إجراء تجربة للمدرسة الريفية فى بعض المدارس الأولية غير أن هذا الطلب لم يجب .

واستوى أستاذنا الفاضل على مقعده ثم قال "وصادف فى ذلك الوقت أن عرض الدكتور كليلاند على جمعية الدراسات الاجتماعية القيام بتجربة لنظام تعليمى شعبى جديد فى قرية المنايل فأوكلت الجمعية الأمر لبعض رجال الرابطة الذين وجدوا فى هذا العرض فرصة للقيام بمشروع المدرسة الريفية الذى تشرفت باعداده وتوليت أمر تنفيذه والإشراف عليه حتى عهد قريب " .

واختتم الأستاذ حديثه قائلا " لقد فشلت تجربة التعليم الالزامى بوضعه الحاضر ، وأصبح لزاما على البلد أن تفكر فى أسلوب أنفع لتنشئة الجيل الجديد ، وها نحن نقدم فى مدرسة المنايل مثالا عمليا فى سبيل إعداد أبناء الشعب إعدادا يكفل لهم المقدرة على تحصيل القوت دون إهمال للثقافة العامة التى تعطيها المدرسة الأولية " .

مشكلة التعليم الأولى فى ضوء تجربة المنايل :

منذ خمس عشرة سنة استقدمت الحكومة المصرية خبيرا عالميا فى شؤون التعليم وهو المستر مان ليضع للبلد سياسة تعليمية تقوم على نهج صالح . وقد قام الرجل بما طلب اليه وقدم الى ولاة الأمور تقريرا وافيا اكتفى بنشره ثم طوى شأن غيره فى سجلات الوزارة ومكتبات معاهدها .

وكان أول ما استلفت نظر المربى الانجليزى فى بلادنا تضخم نفقات التعليم غير الأولى فى تلك المعاهد العالية وغير العالية التى تخرج لنا كل عام جيشا من الموظفين لا تحتاج البلد الى أغلبيته ، أما التعليم الأولى وهو التعليم الشعبى ذو الأثر الفعال فعنايتنا به لا زالت قليلة وحسبنا أن نذكر ما قاله المستر مان فى تقريره " إن مصر تنفق جنيهين على التعليم المنتهى بالتعليم العالى مقابل جنيه واحد فى التعليم الأولى بينما تنفق انجلترا أربعة جنيهات فى التعليم الأولى مقابل جنيه واحد فى التعليم العالى بالرغم من اختلاف مركز مصر كقطر زراعى أحوج الى التعليم الأولى من انجلترا ذات المجال الأوسع لاستغلال الثقافة العالية " .

ومما يؤسف له حقا أننا مع تقصيرنا فى تعميم التعليم الأولى بالقدر الذى ينبغى فاننا نبتغى فيه سياسة خاطئة إذ نحصر كل همنا فى مكافحة الأمية بواسطة المدرسة الأولية دون أن نضع فى برنامجها ما يكفل تزويد الأولاد بثقافة عملية "مهنية" تنفعهم فى كسب عيشهم، ذلك العيش الذى باتت مشكلة الحصول عليه من أعقد المشكلات وأكبرها أثرا وخاصة فى بلادنا التى هبط فيها مستوى الحياة الى حد خطير .

يقول المسيو لوشاتلييه فى كتابه عن السياسة التعليمية أن سر نجاح التربية الأمريكية راجع فى أكثره الى أنها قرنت العلم بالعمل Instruction by Action — والواقع أننا اذا راجعنا طرق التربية الحديثة نجدها كلها متجهة الى الاهتمام بالناحية العملية وحسبنا أن نشير الى ما كتبه رجال التربية وأعلامها منذ بداية القرن الثامن عشر أمثال جان جاك روسو وبستالوتزى وفروبل وهربارت وغيرهم وأن نرجع الى أساليب التربية العصرية فى كل معاهد العالم فالدكتور أوفيد دكرولى Ovride Decroly يقيم طريقته المعروفة على أساس العمل المناسب للبيئة حتى يزود الصغير بالثقافة التى سيفيد بها فى حياته المستقبلة والتى تدور حول القوت وتحصيله وهيلين باركهرست جعلت من مدرستها التى شيدتها على طريقتها المعروفة The Plan Dalton مجتمعا مماثلا للمجتمع القائم خارج أسوارها وجون ديوى Dewey صاحب طريقة المشروع يضع العمل المباشر أساسا للتعليم ويقيم فلسفته التربوية على أساس اجتماعى عملى .

يقول الأستاذ رافائيل راميرز من علماء التربية الأمريكيين "ان مدارس اليوم لا تكتفى بتعليم القراءة والكتابة والحساب وإنما تقصد الى رفع الحياة الريفية الى مستوى أعلى تلك الحياة التى تقوم على الصحة والصلاحية لتأدية العمل المنتج" .

ويعطينا الأستاذ " ارنستو نلسون " مفتش التعليم بالأرجنتين صورة جديرة بالنقل لما يقوم عليه التعليم الأولى فى بلاده إذ يقول : "لقد أصبح الاهتمام الأول بإعداد الأولاد للحياة وانتقلت الثقافة النظرية الى المكان الثانى ففى مدارسنا نعلم الأولاد تحضير الزبيب من العنب والمربى والفاكهة المحفوظة ونعلمهم كيف يزرعون أشجار التوت ويربون دود القز ويفلحون البساتين وقد وفق الصغار الى غرس مائتى ألف شجرة عندنا عام ١٩٣٩" .

ويحدثنا الأستاذ بول باربيه عن نظام التعليم الريفى فى فرنسا فيقول ، لقد وجه أكبر جانب من العناية إلى التربية الزراعية فى المدارس الابتدائية . فتشمل البرامج دروسا فى الزراعة وفلاحة البساتين وغرس الأشجار ودراسة الأسمدة وتربية الدواجن .

ويقول كاندل Kandel الأستاذ فى جامعة كولومبيا فى مقدمة الكتاب السنوى لتلك الجامعة " إذا صح القول أن عمل التربية الحديثة هو أن يلائم بين التعليم وبين مقدرة التلاميذ

واستعدادهم وأن يبنى نظمه على المحيط الذى يعيشون فيه وأن يزيد ويضيف إلى ثروة ذلك المحيط فانه لا مناص من أن يستمد التعليم بالريف مادته من المحيط الريفى وأن يتلاءم معه . . . "

وفى تقارير عن التعليم الريفى بالمانيا أن نحو ٧٠ فى المائة من مدارس ألمانيا الابتدائية هى مدارس ريفية وان القصد الأول منها هو إعداد التلاميذ للحياة تدريجيا ، وقد وضع التقليد والتدريس النظرى فى المحل الثانى ومورد مواد التدريس مستمد من المحيط والبيئة .

وما لنا نذهب بعيدا . إن السودان ، السودان الذى يأتم بنا ويرى فى بلانا أسوة وقدوة ، قد سبقنا فى سياسته التعليمية ولم يعد يأخذ بسياسة " الكاتيب " التى نسميها بالمدارس الإلزامية أو الأولية ، وإنما اتجه الى ما اتجه اليه الغرب وأخذ به ، وحسبنا أن نرجع الى ذلك البحث القيم الذى نشره الدكتور الكردانى بك عن مدرسة بخت الرضا وبه يطلعنا على صورة رائعة لبعض ما أصاب إخواننا السودانيون فى هذا السبيل من توفيق كبير

ثم إننا بسياستنا التعليمية فى واد والعالم بأسره فى واد آخر ، إننا ننفق كل عام فى التعليم الأولى أو الإلزامى مبلغا يناهز المليونين من الجنيهات لا نصيب به غير قشور من مبادىء القراءة والكتابة وبصيص من المعرفة النظرية لا يفيد الصغير منها إلا تضررا من حاله وميلا الى النزوح الى المدن ينزح اليها هاجرا الريف . يهجره ويهجر الأرض لأنه لا يطيق البقاء على ما يقيم عليه أبوه الأمى من فقر وضيق ، ولو أننا عنينا بتعليم الصغير مع القراءة والكتابة أصول الزراعة الناجحة وبعض الصناعات الزراعية التى تزيد من كسبه كما تفعل أمم الغرب وكما رأينا فى تجربة المنايل ، لو عنينا بهذا لأحب فلاح المستقبل أرضه وتعلق بها وأفاد من خيرها فائدة تنهض بأسره وترفع مستواه الاجتماعى .

محمد عبد الكريم

العواطف الفاسدة سبب كل فساد فى المجتمع

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم

العوطف سلاح ذو حدين ، فكما تكون نافعة اذا كانت معتدلة ، كذلك تكون ضارة اذا جاوزت حد الاعتدال .

والفرد يسعد بعواطفه ويشقى بعواطفه ، والمجتمع يسعد اذا كانت عوطفه متجانسة مقترنة منسجمة ، ويشقى اذا كانت عواطفه متباينة مضطربة متطرفة . ذلك لأن العواطف الصالحة تدفع إلى العمل الصالح ، والعواطف الفاسدة تدفع إلى العمل الفاسد ، فهى أساس السلوك جميعا ، وأساس الأخلاق جميعا خيرها وشرها .

لو رأيت أمة ناشطة فى صبر وحزم ، تعيش فى سلام روحى ، وأمن اجتماعى ، واطمئنان نفسى ، وتعمل فى جو هادىء بنظام شامل ، واخلاص متبادل وعدالة عامة . فاعلم أن أساس هذا جميعه تلك العواطف الكريمة التى رسخت فى نفوس أفرادها فكانت دعامة لكل خير ، وغرسا لكل سعادة .

ولو رأيت قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فاعلم أنها قرية قد سادت فيها العواطف الطيبة فانتظمت فيها الحياة انتظاما يدعو الى الاعجاب . ولو وقع بصرك على شخص قد قويت شخصيته ، واطمأنت نفسه ، واتجه الى البر والاحسان والخير فى جميع حالاته ؛ فهو الفرد الذى جمع عواطف المحبة والمعروف والايثار حتى صار قويا ببره وعطفه وعمله .

ولو رأيت أمة شقية فوضوية تعيش فى هرج ومرج وتنحدر فى سلوكها وتصرفاتها إلى المستوى المنخفض فاعلم أنها أمة قد غلبت عليها عواطف الشر فتدهورت بها الى الحضيض .

وهـل سمعت بالقرية الظالم أهلها ، المشرفة على شفا الهلاك والفناء : إنها القرية التى انتشرت بين أبنائها عواطف الحرص والطمع والغدر والخداع والظلم والبهتان . (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) .

ثم هـل رأيت الأفراد الأوغاد وقـد سقطت نفوسهم ، وساءت ظنونهم ، وتلوثت اخلاقهم ؛ فلم يكن سلوكهم الاخرقا فى العمـل ، وجفوة فى القول . إنهم قـد انطبعت نفوسهم بعواطف الخبث والخسة والشر . فعلى حسب العواطف يكون السـلوك وتكون الأخلاق .

فمن النـاس من غلبت عليـه العاطفة الشهوية وتطرفت تطرفا أقصـاها عن الاعتدال والحكمة فصار محبـا للذاته الجسمية مقبلا عليها متجها إلى الدنيا بكلياته وجزئياته : يخشى أن يفوته شىء مما قد يستمتع به غيره من الناس . فتراه حريصا شديد الحرص ، بخيلا شديد البخل على المجتمع والمحتاجين ، وهو فى الوقت نفسه مسرف كثير الإسراف فى لذته الشخصية ومنفعته الذاتية : يعبد كل شىء فيه منفعة له و إن يكن حراما . ويقدس كل شىء فيه سرور لنفسه و إن يكن ضارا بالآخرين .

لأن هـذه العاطفة الشهوية قد طاحت به فى أودية الغرور وأبعـدته عن أودية الحياة الفاضلة السعيدة .

ومن النـاس من غلبت عليـه العاطفة الغضبية حتى صار غضوبا ساخطا مؤذيا بلسانه ويده وقلمه ، يحـاول البطش بمن هم دونه فى المنزلة أو فى القوة أو فى الجـاه أو فى الحياة العملية : فيتكبر على المساكين ، ويلوى عنقه عن المحتاجين ، ويثنى عطفه عن الناس أجمعين ، هو لا يعف عن سفاف الأمور ، ولا يتورع عن الباطل والادعاء والزور .

يكون كالبركان الثائر الذى يطغى بناره ودخانه على ما يجاوره من المدن والقرى والسهول والقلاع والبقاع .

إن جاور أحدا أغضبه ، و إن عاشر احدا أتعبه ، و إن صاحب أحدا حمل عليه مالا يطيق ، فهو كالسم القاتل والداء العياء ، والخطب الفادح .

ومن الناس من غلبت عليه عاطفة الحسد والكره لمجتمعه ، فيكره الناس ويكرهونه ، ويمقتهم ويمقتونه ، يود لو فنى العالم ليبقى هو وحده ، ويتمنى لو تزول المشروعات النافعة الاجتماعية ، وتذهب فى الهواء فلا يكون للمجتمع منها نصيب ، يكره النفع للناس ليستأثر هو بالفخار والثمرات والأموال . وهذا منتهى الانحطاط فى الأخلاق الاجتماعية .

وهيهات أن يطيب عيش لهؤلاء الشهويين والغضبيين والحاقدين والحاسدين . ان ينالوا خيرا لأنفسهم ، ولن يعملوا خيرا لأمتهم ، فقد فسدت طبيعتهم ، وفسدت عقليتهم وضاعت حكمتهم فكانوا شرا على ذويهم وعلى وطنهم .

إن المصلحين والمجاهدين ورجال التربية والتعليم يعلون دائما على ما يهذب الانفعالات والعواطف والوجدانات . ويرقيها ويضبطها ضبطا سليما حتى تخضع للعقل والضمير والقانون والشرع فتثمر عواطف جميلة ينشأ عنها السلوك الراقى والخلق المتين .. حتى يطرب المرء للخلال الكريمة ، والشمائل النبيلة ، وتهزه الفضائل هزة المحب المخلص كما يقول المرحوم حافظ بك ابراهيم فى الفضيلة :

إنى لتطربنى الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاق

ويهزنى ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزة المشتاق

ذلك لأن هذه الانفعالات والعواطف التى خضعت للحكمة والعقل قد نشأ عنها الانسجام النفسانى ، والتوازن بين القوى فتصبح النفس موطنا للفضيلة ومستودعا للخير ، فلا ظلم ولا عدوان ولا بغى ولا كفران وهذه هى العدالة والاعتدال والسعادة الروحية . أما إذا لم تخضع هذه الانفعالات خضوعا سليما حكيما ، فإنها تتحكم فى السلوك تحكما قاسيا سيئا .

فانفعال حب التملك مثلا قد يدفع الإنسان بقوة قاسرة إلى اقتناء الأموال من طرق غير مشروعة فيجذبه ويجذب عاطفته إلى السرقة والنصب والاحتيال ، وأكل أموال الناس بالباطل ، يختطف مايستطيع اختطافه ، ويقتنص مايمكن اقتناصه ، إذا عاشر الناس عاشرهم ليعرف كيف يمتص دماءهم وكيف يظلمهم ويختلس أموالهم . ولايعاملهم إلا كما يعامل بقراته السمان : يطعمها ويسقيها لما يترقب من الربح فيها . ذلك بسبب أن هذه العاطفة قد تطرفت بصاحبها بجعلته أنانيا نهما شرها مؤثرا حياته على حياة مجتمعه ، معتزلا الفقراء والضعفاء ، لايرى لهم حقا ولايرعى لهم واجبا .

إن هذه العواطف الفاسدة تؤدى إلى تفكك المجتمع ، وتقطع أواصره فيفسد كل شىء فيه .

ويهزءون من الفضائل الاجتماعية لأنهم لا يعرفون مجتمعا سوى ذوات نفوسهم، ولا حياة سوى حياتهم إذا سمعوا فضيلة الإيثار، وحب الغير والناس، أصموا آذانهم عما يسمعون كأن فى آذانهم وقرا، وكأن فى قلوبهم صخرا: لا يشاطرون مجتمعهم فى سرائه وضرائه، ولا يحسون كما يحس، ولا يتألمون كما يتألم، فهم منافقون مخادعون: يضنون عليه بالجود والسخاء ثم يهرولون إلى خيراته فيغتصبونها ويحاونها لأنفسهم.

هؤلاء هم الذين وصفهم شاعر سوريا "بقوله:

ضاع رأيى فيمن أرى حين أمست ألسن الناس لا تطيع القلوبا
تارة أحسب الحبيب بغيضا وزمانا أرى البغيض حبيبا
يحسبون الجميل أسوأ صنع والسجايا المكملات عيوبا

ألا إن الفضائل كلها تنشأ من العواطف المهذبة الراقية والرذائل كلها تنشأ من العواطف السافلة الجامحة ولن يصل الفرد والمجتمع إلى السعادة الخالدة إلا بالعواطف الشريفة النبيلة.

محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

النفاق الاجتماعى

للأستاذ عيسى متولى

لا يخلو مجتمعنا من أدواء تسربت جراثيمها فى دمه ، ونفثت فيه سمومها ، فأضعفت قواه وصدعت من كيانه ، كما تتسرب جراثيم الأمراض الى الديدان الصحيحة فتحطم بنيانها وتذهب بنضرتها ، وتتركها فريسة لمختلف العلل والأسقام .

والنفاق الاجتماعى أحد تلك الأدواء المتفشية فى مجتمعنا ، فهذا شخص يلقاك فى بشاشة مصطنعة ، وقد ارتسمت على شفتيه بسمة صفراء ، ويؤكد لك ودّه واخلاصه ، ويبالغ فى وصف شوقه اليك وحنينه الى طلعتك ، ويعطيك من طرف لسانه حلاوة ، ثم يعانقك ويضمك الى صدره وبين حناياه قلب ينطوى على الحقد والبغضاء ، حتى اذا ماتواريت بعد هذه التحية الحارة التى استقبلك بها راح يرميك بمختلف التهم ، ويصم كرامتك بأقبح الوصمات !.....

هؤلاء الذين يخادعون الناس ، ويقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، منافقون ، تسربت سموم النفاق فى دمائهم ، وجرت فى عروقهم فأفسدت ضمائرهم ، وزينت لهم طريق الخداع والرياء !.

ولعل أكثر الناس تعرضا لنفاق المنافقين هم الذين أتاهم الله بسطة فى المال والجاه ، فترى هؤلاء المنافقين يلتفون حول صاحب الجاه ، يتودّدون اليه بشتى الوسائل ، ويتسابقون الى كسب ودّه ورضائه ، ويفخرون بالتعرف والتقرب إليه ، ومشاركته المجالس أو الحديث يطأطئون له الهامات ، ويحترمونه الاحترام كله ، ويقدسون رأيه ولا يعصون له أمرا . واذا ما فقد الرجل جاهه وثراءه ، انفضوا من حوله وانصرفوا عنه ، بل وقلبوا له ظهر المجن وانقلب حبهم بغضا ، واحترامهم له ازدراء ، فاذا بالذى كان بالأمس القريب معقد الأمل ومعقل الرجاء مبغوضا مكروه . واذا بالذى كانت مجالسه بالأمس القريب مفخرة لروادها منبوذ لا يزور ولا يزار . واذا بالذى كان بالأمس القريب مقصد القاصدين وملاذ المعوزين فى عداد المنسيين لأنه فقد ثراءه ففقد بفقده رفقائه !...

وأين المودات من صحبة ... كنحل يحن وأنت الزهر
قليلون عند امتناع القطاف ... كثيرون عند رجاء الثمر

هؤلاء الذين يعرفون الناس فى رخائهم ويسرهم ، وينفضون عنهم فى ضيقهم وعسرهم منافقون ، لأنهم لا يحفظون ودّا ، ولا يقدّسون عهدا .

وهناك نوع آخر من النفاق نراه متفشيا فى المصالح ودور الأعمال ، إذ يتزلف بعض المرؤسين الى رؤسائهم والايقاع بغيرهم ، فهم لا يتورعون عن اختلاق الأكاذيب، ينسبونها الى بعض أقرانهم ممن تربطهم واياهم رابطة الزمالة، ليسيؤا سمعتهم عن رؤسائهم، ويظهروا هم على أكتاف هؤلاء الأبرياء !

هذا الموظف الذى يأكل لحم أخيه ميتا ، وينال من كرامة زميل له فى غيبته ، أو ينسب اليه ما هو برىء منه منافق ، مشاء بنميم ولو أن كل رئيس لم يعر أمثال هؤلاء المنافقين أذنا واعية ، وألقى عليهم درسا فى الفضيلة وكرم الخلق لما تفشى داء النفاق فى المصالح الى هذا الحد !

نعم إن علاج هذه الحالة فى أيدى الرؤساء أنفسهم ، فلو أن كل رئيس حين يطرق بابه فاسق بغيا يزجره ويؤنبه ، ويؤكد له أن الموظف لا يكسب رضاء رئيسه عن طريق النفاق والدس والايقاع بالأبرياء ، انما يكسبه باجادته لعمله الموكول اليه ، واخلاصه فى أداء واجبات وظيفته على الوجه الأكمل ، لأقلع هذا المنافق عن نفاقه ولما عاد الى الدس الوضيع والصيد فى الماء العكر، أما تغاضى الرؤساء عن هذا النفاق واستماعهم الى الوشايات والدسائس فهو العامل الأول على انتشار هذا الداء الاخلاقى الوبيل فى مجتمعنا ، إذ يتمادى هؤلاء المنافقون المتملقون فى نفاقهم وتملقهم ؛ لأنهم يرونه طريقا سهلا الى قلوب رؤسائهم .

ومن الناس من يتظاهر بالورع ، ويلبس مسوح التقوى ليتخذ من هذا المظهر وسيلة لقضاء حاجاته ومآربه . فكثيرا ما تروى لنا الصحف حوادث الاحتيال التى يرتكبها أمثال هؤلاء اذ يلقون فى روع الناس أنهم من أولياء الله الصالحين، وأن فى مقدورهم أن يباركوا الناس وأموالهم ، فاذا ما وقع أحد البسطاء فريسة فى شباكهم سلبوه ماله، شأنهم فى ذلك شأن هؤلاء الدجالين الذين يدعون معرفة الغيب ومكنوناته ، ولا يعرف الغيب إلا الله ، ولا يطلع على غيبه أحدا .

يوهم هؤلاء الدجالون الناس أنهم يملكون مفاتيح الأمور ، وقضاء الحاجات ، وتذليل الصعب ، وشفاء المريض ؛ ليبتزوا أموالهم ومن عجب أن يجد هؤلاء الدجالون المنافقون من يصدق مزاعمهم ، فيطرق بابهم طالبا قضاء حاجة ، أو مستفسرا عن شأن من شؤون مستقبله .

ومن بين هؤلاء المتسولين الذين يعترضون طريقنا فى الغدو والرواح منافقون ، لأنهم يتظاهرون بالحاجة ، ويتفننون فى الظهور أمامنا بمظهر العاجزين عن العمل ليستدروا عطفنا واشفاقنا ، فمنهم من يصور لك أنه مقعد ، وما هو بمقعد ومنهم من يتعامى وما هو بأعمى. وهذا لون مضيع من الوان النفاق ، والواقع أن هؤلاء المتسولين استمرؤا حياة التسول ، التى حببت اليهم الكسل والخمول ، والقعود عن السعى وراء الرزق !

ويلعب النفاق دورا خطيرا فى دنيا الحب ، ولهذا النفاق الكثير من الضحايا فهذا شاب يرتل فى اذن فتاته الكلمات المعسولة ، والوعود البراقة ، ويعدها ويمنيها وما يعدها الاغرورا ثم ينقض عهده ، ويترك فريسته ملطخة بالعار .

فلتحذر كل فتاة من هذه الحلوى المسمومة التى يعرضها عليها الشباب المنافقون الذين يزينون للعذارى طريق الفساد ويفرشونه بالورود .

وبلغ من جرأة بعض الأفراد أن زين لهم النفاق العبث بحرمة الأديان واتخاذها وسيلة لأغراضهم ، ومطية لمآربهم ، فيحدث أحيانا أن يعمد بعضهم الى التظاهر باعتناق دين غير دينه ، لاحبا فى هذا الدين الذى اعتنقه ، بل ليتحرر من قيود دينه فيتخلص من زوجة لا يجد طريقا الى التخلص منها ، أو لغرض فى نفسه ، فكأن الدين فى نظر هؤلاء العابثين ثوب يلبس ويخلع متى شاء صاحبه .

هؤلاء الذين يعبثون بحرمة الأديان ينافقون لأنهم يخادعون الناس ؛ ويحتالون عليهم ، ويضللونهم الاساء ما يبررون :

ونستطيع أن نفسر إسرافنا فى التزين والتجمل بأنه لون من الوان النفاق الاجتماعى لاننا حين نسرف فى التأنق والتجمل إنما نريد أن نخفى عن أبصارهم عيوبا لا نريد أن تقع عليها أعينهم .

فهذه السيدة التى تقدمت بها السنون واشتعل منها الرأس شيبا تأبى أن يدرك الناس شيخوختها ، فتعمد الى مختلف المساحيق والأصباغ تغير بها من لون شعرها وتحيله الى لون آخر ، لأنها تعتقد أن الشيب إحدى أمارات الشيخوخة التى تبغضها البعض كله .

كما أن إسراف بعض الناس فى مظاهر حياتهم ، كاقامة الأفراح والمآتم يعتبر لون من الوان النفاق ، لأنهم يريدون أن يظهروا أمام الناس بمظهر الغنى واليسار ولو اضطرهم ذلك الى الاستدانة ، وهكذا يدفع النفاق بكثير من الناس الى طريق شائك لا تحمد عقباه .

عيسى متولى

نموذج لأندية العمال

لم تعد أندية العمال فى البلاد الصناعية أمكنة لتزجية الفراغ ؛ بل ارتقت إلى أن تكون أمكنة إعداد وتهذيب عقلى وخلقى وصحى وعملى. ففى النادى يجد العامل فوق الرياضة المفيدة والتسلية البريئة ، دراسة علمية وتوجيها خلقيا وتدريبا عمليا وبهذا يصبح النادى ملهى ومدرسة ومصحة ويعوض على العامل الذى اضطرته مطالب الحياة لعدم استكمال الثقافة والمرانة ما فاته ؛ ويهيئه لمستقبل أفضل بينما هو يعمل ويكسب ويقتات .

ووزارة الشؤون الاجتماعية تحاول أن تبث هذه الروح ، فهى تشجع كل التشجيع إنشاء نوادى العمال ، وساحات الرياضة العامة ، والنقابات التى تساعد على إنشاء النوادى ، وقد فكرت أخيرا فى إنشاء جامعة شعبية تنبث فروعها فى النوادى .

فنحب أن نضع بين يدى الوزارة أنموذجا كاملا لنوادى العمال، تجاوز منطقة التفكير الى منطقة التنفيذ ، ولم يعد مشروعا يرسم فى الخيال ، بل أصبح حقيقة واقعة فى عالم العيان وذلك هو نادى عمال شركة مصر لنسج الحرير بحلوان .

افتتح هذا النادى بحلوان فى ٤ مايو سنة ١٩٤١ وبلغ عدد أعضائه نحو ثلثمائة عامل ، ثلثهم فى العقد الرابع ، وثلثهم فى العقد الثالث ، وثلثهم فى العقد الثانى . وقد قسم الى عدة مراقبات :

فمراقبة الرياضة البدنية تعنى عناية كاملة باعداد العمال من الناحية الصحية . وقد مهدت لهم الملاعب وزودتهم بالمدربين الممتازين وأشركتهم فى مباريات منوعة لعدد من اللعبات وفى خلال عامين تمكنت من إعداد نصف الأعضاء إعدادا رياضيا غير من حالتهم الصحية والنفسية تغييرا واضحا .

ومراقبة الثقافة تتولى تعليم الأميين من العمال ، وقد اعتزمت أن تجعل التعليم إجباريا للعمال ضمن نظام العمل بتخصيص بعض وقت العمل للعلم . مع نشر الروح الثقافية بتنظيم المحاضرات والمناظرات المختلفة ، وإصدار مجلة شهرية يشترك فى تحريرها الاعضاء ويقرؤها كذلك الأعضاء . وقد تم لهذه المراقبة إعداد مكتبة بها عدد كبير من الكتب فى مختلف العلوم والفنون .

ومراقبة الرحلات وهى تنتهز فرصة العطلات الأسبوعية والرسمية لتنظم للأعضاء رحلات منوعة الى أماكن وبلدان مختلفة فيتزودون بالمعرفة ويقضون عطلة منشطة .

ومراقبة الحفلات تساعد مساعدة جدية فى الترفيه عن الاعضاء بشتى أنواع السمو والتسلية ، ولم تقصر جهودها على الحفلات المسرحية بل أضافت اليها العناية بالموسيقى ، وكان لهذا أثره العميق فى روح العمال .

ومراقبة التعاون تهتم بتهيئة أسباب المعيشة للأعضاء ، فتدير «الكانتين» وتوفر المنسوجات والملابس والضروريات اللازمة لهم بأسعار الجملة وعلى أقساط . وقد أتمت إعداد الطابق العلوى بالدار التى يشغلها النادى . وتجهيزه بالأثاث ليكون مسكنا للغرباء عن حلوان من العمال والموظفين .

واهتمت إدارة النادى بعلاج الأعضاء من الأمراض المختلفة بمعرفة الأطباء الاخصائيين وهى تنوى إعداد عيادة دائمة للأمراض المتوطنة .

ومما يذكر أن الشركة قد ساهمت فى هذه الحركة مساهمة مادية تشكر ، كما قامت بالتسهيلات التى يتطلبها نجاح جهود النادى . ومن أمثلة ذلك أن تسمح إدارة المصنع بانصراف العمال الذين يتلقون دروسا فى القراءة والكتابة أو تدريبا رياضيا وموسيقيا ويبلغ عددهم ٨٠ عاملا ، قبل الميعاد المقرر بنصف ساعة ، وأن تتكفل الشركة بنقلهم من المصنع الى النادى ومن النادى الى مناطق سكنهم ، بعرباتها ، وأن يتناولوا الطعام على نفقة النادى فى أيام التدريب .

وقد تحملت الشركة فى هذا نفقات بلغت ٦٠٠ جنيه فى العام . أى إن العامل الواحد قد تكلف جنيهين اثنين . ولكن ما ذا كانت النتيجة ؟

لقد شاهدنا الحفلة السنوية لهذا النادى ، كما اطلعنا على مكتبته وعلى نظام الدراسة والتدريب فيه . وعلى حالة العمال فى مراحلهم المختلفة .

وخلاصة ما نستطيع أن نقوله إن النادى قد خلق هؤلاء العمال خلقا جديدا . وكأنه اشترى بكل جنيهين مخلوقا إنسانيا فى شكله ومشيته وطريقة حديثه ومعلوماته وأخلاقه . ولسنا نشك فى أن الشركة قد استفادت من ارتفاع مستوى هؤلاء العمال أضعاف ما أنفقت عليهم ، تقانا فى العمل وأمانة وحسن سلوك .

وقد ألقى سكرتير النادى الموظف بالشركة كلمة فى المهرجان الثانى نقتطف منها فقرة مختصرة تشرح هذه النقطة .

" لا ريب أن فى هذه الحركة الرياضية والاجتماعية الأثر الملموس فى العمل وفى العامل . ففى العمل انكمشت نسبة الجزاءات والعقوبات والفصل . وأصبح العامل مقبلا على عمله

فى لذة ورغبة وصار الجميع يغارون على سلامة الإنتاج . وعلى ضوء التجربة نؤكد أنه ما من قوة تستطيع أن تكفل التضامن والولاء بين العمال والموظفين والرؤساء وأصحاب العمل قدر ما يكفله بث الروح الرياضية وإنماء الإخاء الاجتماعى بين الجميع مهما تطلب ذلك من جهود وأموال" .

ومن الإنصاف أن نذكر أن النقود وحدها لم تخلق هذه الحركة ، وإنما كانت وسيلة فقط لتحقيق الأهداف التى دفعت اليها الغيرة والحماسة وحب الخدمة الاجتماعية فى نفوس موظفى المصنع نحو عماله . وإنها لروح عالية تجلت فى مدير المصنع وموظفيه جميعا ، فجعلتهم يتطوعون لهذه الخدمة فى سرور واندفاع .

وهذه الروح من جانب الموظفين ، وهذا التشجيع من جانب الشركة صاحبة العمل . على رأسها مديرها (وهو رئيس شرف النادى) كانا الدعامتين اللتين قام عليهما هذا النادى النموذجى الذى تسرع خطاه نحو الكمال .

ولم تخسر الشركة شيئا فيما أنفقت بل كسبت ولا شك . وهذه هى الحقيقة التى يجب وأن يشعر بها أصحاب العمل تجاه عمالهم وتجاه مصانعهم . فالعامل المستريح المتفتح النفس الصحيح الجسم ، المثقف العقل ، المهذب الخلق ، يستطيع أن يعوض صاحب العمل من كل ما ينفقه فى إنشاء مثل هذا النادى النموذجى .

ولا نختم هذه الكلمة قبل أن نذكر ظاهرة لطيفة ، وهى أن هؤلاء العمال الفقراء تعودوا بعد ما سرت فيهم روح النادى الخيرية أن يطعموا الفقراء فى مناسبات . وكان ضيوفهم فى إحدى هذه المناسبات خمسمائة فقير من العزب المحيطة بحلوان فكان مظهرا جميلا أن يتناول الفقراء الطعام على مائدة الفقراء .

تسعيرة العلم ليست لمصلحة الجامعيين

ولا للمصلحة العامة

للأستاذ عريان يوسف سعد

كانت الحكومة أيام ندرة المتعلمين تستخدم كل من يحصل على شهادة دراسية ، وكانت مضطرة فى ذلك الوقت إلى وضع سعر لكل شهادة .

أما الآن فانها تجد لكل وظيفة تخلو طلابا من مختلف الثقافات ، فأصبح من الضرورى الإقلاع عن تسعيرة الشهادات وتقدير أجر لكل وظيفة على أن يختار لها أحسن المتقدمين .

وأزيد بهذا المقال أن أشير إلى أضرار تسعيرة الشهادات بحملة الدرجات العلمية و إلى أضرارها بالمصلحة العامة .

أما أضرارها بحملة الدرجات العلمية فمستور تحت نقاب تقدير أصحاب تلك المؤهلات إذ يقال إنه إهدار لكرامتهم أن يكونوا موظفين مؤقتين أو فى الوظائف الكتابية الصغرى التى لا يتفق عملها وما حصلوا من علوم ، وهذا قول ظاهره حق ولكن تقليبه على مختلف وجوهه سيظهر ما فيه من ضرر .

لقد نما التعليم الجامعى فى السنين الأخيرة حتى كثر من أتمه من الشبان وزادوا على حاجة الوظائف التى تؤهلهم درجاتهم العلمية الرفيعة لتوليها .

وهذه جامعة فاروق الأول قد أنشئت فلا تمضى أعوام قليلة حتى يقف خريجوها على أبواب معترك الحياة بجانب إخوانهم خريجى جامعة فؤاد الأول ، ولقد بدأ الحديث عن إنشاء جامعة ثالثة فى عاصمة الصعيد وان كان ذلك الحديث لا يزال همسا فى دوائر ضيقة ولكنه سوف لا يبقى حديثا بل سيصبح مشروعا ثم يصبح المشروع حقيقة واقعة ، واذا خريجو الجامعة الثالثة يقفون على أبواب معترك الحياة بجانب إخوانهم خريجى الجامعتين .

أما من ينصرف من هؤلاء جميعا إلى الأعمال الحرة فى مختلف نواحيها فلهم منى كل احترام وإجلال وتقدير ، لأنهم سيكونون طلائع الاستقلال الاقتصادى الوطنى .

وأما من يولى وجهه شطر وظائف الحكومة ، وأخشى أن يكونوا الكثرة من حملة درجات الجامعة ، فإنهم الذين تعنيهم هذه الكلمة .

من هؤلاء من سوف يشغل وظائف الحكومة التى جعلت لها مرتبات ودرجات تناسب الجامعيين ، ولكن هؤلاء سيكونون قلة ضئيلة وهم الآن فعلا قلة ضئيلة ، فإنك تجد خريجى كلية الحقوق مثلا مائتين فى العام أو أكثر ، ولا تتسع وظائف النيابة التى تخلو فى العام وما يماثلها لأكثر من عشرة أو عشرين منهم على أكثر تقدير ويتلمس الباقون ما يخلو من وظائف ادارية أو كتابية فى مختلف الدواوين وكذلك خريجو سائر الكليات .

ومن هؤلاء الخريجين من تحتم عليه ظروفه أو ظروف طارئة أن يكسب قوته لأن عائله مات أو ضاعت ثروته أو لأن له من الأولاد غير هذا الذى أتم دراسته .

هذا المضطر لكسب العيش سيطرق أبوابا كانت تفتح لأمثاله من قبل أما اليوم فقد أوصدت .

هذا المضطر إن لم يجد وظيفة باليومية أو فى الدرجة التاسعة يود يجدع الأنف لو عين فيها حتى يسد حاجته ، ولكنه لن يجد لشغلها سبيلا ، لأنها لاتليق بكرامة الدرجة العلمية التى حصل عليها فكأن العلم الذى سهر الليالى فى تحصيله أصبح حائلا بينه وبين رزق ضئيل حقا ولكنه خير من لاشىء على أى حال .

هذا المضطر وأمثاله وربما كانوا كثيرين يضيره ويضيرهم أكبر الضير أن يحرموا من هذه الوظائف الصغيرة وأريد أن لا يتقدم له ولهم ناصح يقول لهم عليكم بالعمل الحر فانه وأصحابه ليسوا من الفريق الذى تمهد لهم الظروف العمل الحر فقد بينت فى أول الكلمة أن للعمل الحر فريقا آخر .

هذا المضطر الذى يحرم من الوظائف الصغيرة بسبب علمه الذى أفنى شبابه فى تحصيله ليس أمامه إلا أن ينكر هذه الدرجة العلمية وأن يتنكر لها وأن يتقدم لتلك الوظيفة الضئيلة على أنه لايحمل إلا الثقافة حتى لا يحرم من الحصول عليها إن تقدم بدرجة الجامعة وله كل الحق أن يشغل وظيفة لا يكسب منها سوى خمسة جنيهات فى الشهر لأنه لا يجد وظيفة تدر عليه أكثر من ذلك .

فأى شىء عليه ؟

ومن يدرى لعل جامعيا يريد الحصول على الوظيفة الصغيرة ذات المرتب الضئيل لايجسر على أن يدعى أنه ليس بجامعى ولا يجسر أن يتقدم لنيل تلك الوظيفة بغير الثقافة مثلا لأنه يخشى أن يفسر عمله بأنه تزوير فى أوراق رسمية .

ولماذا كل ذلك ! ؟ انها تسعيرة الشهادات جعلت لدرجته العلمية سعرا أعلى من أجر تلك الوظيفة وحرمت عليه أن ينال ذلك الأجر ولو كان فى أشد الحاجة اليه .

لعلى أوضحت الضرر الذى يلحق بالجامعى من تحديد درجة معينة وأجر معين للدرجة العلمية التى تمنحها الجامعة بدل أن يجعل أجر معين لعمل معين يمنح لمن يرضى أن يؤدى ذلك العمل فان وجد أكثر من طالب لذلك العمل وليه أحسن من يتقدم له علما وكفاية وأعلاهم ثقافة .

بقى بعد هذا أن أوضح الضرر الذى يلحق المصلحة العامة من تسعيرة الدرجات العلمية ، سيكون من يعين فى الوظائف التى يقال انها لاتليق بكرامة حملة الدرجات العلمية العليا من بين أنصاف المتعلمين وليست بحاجة الى كثير من القول لأظهر أن المصلحة العامة تكون أكثر أمنا وصونا فى أيدى ذوى المؤهلات العالية الذين يجدون فى أجر الوظائف الصغيرة مايسد

حاجتهم فيرضون بها ويكتفون بأجرها وأنت ترى من غير شك أن الموظف الصغير يكون أكثر تقديرا للواجب ان كان متعلما وأكثر حرصا على المصلحة العامة فان له من ثقافته وعلمه وفضله ما يجعله يقدر الأمانه التى تلقى على عاتقه خيرا ممن يقل عنه علما وفضلا .

وبعد فأية مصلحة للبلاد فى أن تاخذ موظفيها الصغار من بين غير المثقفين إن استطاعت أن تجدهم بين المثقفين الجامعيين ! ؟

ليس لعلاج هذه الحالة الا طريق واحد هو الغاء تسعيرة العلم وربط الأجر بالوظيفة نفسها لا بمؤهلات من يتقدم لها فاذا فرضنا أن خلت وظيفة كاتب أجرها ستة جنيهات وتقدم لها دكتور فى الآداب وتقدم لها حاصل على الثقافة أليس الأفضل أن نعين فيها الأديب بدل ان نغفله أو نطرده بعبارة اصح قائلين له يا دكتور هذا عمل لا يليق بكرامة الدكتوراه ثم نعين فيها حامل الثقافة .

مادام العلم قد انتشر وما دام العلماء يرضون بقليل الأجر وصغير الوظائف تحت تأثير ظروف الحياة فليس من المصلحة العامة فى شىء أن تنحيهم عن تلك الوظائف وليس من مصلحتهم هم أيضا أن نأباها عليهم لأنها أقل من مستوى كرامة درجاتهم فإنهم بها راضون وهى خير من البطالة على أى حال .

ولكن اباحة تعيين أصحاب الثقافة العالية فى الوظائف الصغيرة ان اضطروا لقبولها يجب أن يسبقه الغاء السعر المحدد للدرجات العلمية والا كان أمام الدولة مشكلة لانهاية لها ولا آخر ، ولا قبل لقدرة الدولة المالية باحتمال آثارها .

تلك المشكلة هى طلبات المساواة التى يتقدم بها أصحاب الدرجات العلمية الذين يشغلون وظائف صغيرة إذ يرون من الغبن أن يتناولوا من الدولة أجورا أقل من الأجور التى حددها نظام الوظائف (الكادر) لدرجاتهم ولهم الحق مادام سعر الدرجات العلمية قائما أن يطلبوا ذلك السعر لدرجاتهم فلا معنى لحرمانهم من أجر مقرر لدرجة علمية يحملونها .

ومن هنا نرى كل يوم طلبا لفئة من حملة الشهادات يطلبون مساواتهم بزملائهم فاذا ما ألغى سعر الشهادات انقطع سبيل هذه الطلبات فلا يجد موظف فى الشهادة التى يحملها سببا لرفع راتبه مادام فى وظيفة أجرها محدد وقد رضى به إلا إذا ارتقى إلى وظيفة أعلى .

ليس فى هذا استغلال حاجة حامل الشهادة إنما هو الذى يجب أن تسير عليه الدولة فلا تدفع أجر عمل أكثر مما يستحقه ذلك العمل بحجة أن القائم به يحمل شهادة عالية والا وصل الحال بالدولة إلى جعل أجر أقل الأعمال مساويا لأجلها فيصبح راتب كاتب صغير أو مساعد ميكانيكى مساويا لراتب وكيل نيابة أو مهندس لأن كلا منهم يحمل درجة عالية كالآخر .

عريان يوسف سعد

ملاحظات عابرة :

جائزة الترجمة — طبعة مدرسية — الحياة فى دروس المطالعة والإنشاء
الوريقات الهزيلة

(١)

نشرت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية أن صاحب العزة الأستاذ أنطون بك الجميل عضو المجمع خصص خمسين جنيها جائزة لمن يضع أحسن رسالة فى " دراسة حركة الترجمة فى مصر خلال القرن التاسع عشر " .

والاهتمام بحركة الترجمة فى هذه الفترة أمر مرغوب فيه ، لأنه قد يكون حافزا على تنظيم هذه الحركة منذ الآن ، والسير بها الى المستوى الواجب لأمة ناهضة تخلفت عن الركب العالمى مئات السنين ، ثم استيقظت فإذا المكتبة العربية متخلفة عن متابعة الركب العالمى فى جميع فنون العلم والثقافة .

والترجمة هى الخطوة الأولى التى كان يتحتم على هذه الأمة أن تخطوها وأن تنظمها تنظيما كاملا ، حتى تنقل إلى المكتبة العربية أهم ما فاتها من عناصر الثقافة ، وحتى لا تضطر الى تعلم اللغات الأجنبية فى جميع مراحل التعليم ، لتلاحق بهذه اللغات خطوات الثقافة العالمية ، التى كان يجب أن تجدها فى لغتها الأصلية كما تصنع جميع الشعوب .

ولقد نشأ عن فقر المكتبة العربية فى العلوم والفنون الحديثة أن ألوفا من المتعلمين لا يجدون فى لغتهم ما يغنيهم عن اللغات الأخرى ، وأن جميع أطفالنا فى المدارس الابتدائية يدرسون لغة أجنبية بجانب اللغة القومية ، فلا يجدون الوقت الكافى لتعلم هذه ولا تلك ، ويخرجون من المدارس ضعافا فى جميع اللغات بسبب تزاحمها فى مرحلة واحدة .

فاذا نحن عنينا بالترجمة ورسمنا لها سياسة معلومة لعدد معين من السنين ، وامتلأت المكتبة العربية بكتب العلم والفن والثقافة باللغة القومية أمكن أن نقتصد فى الوقت الضائع الذى نعلم فيه جميع أبنائنا لغة أجنبية تعطل عليهم إتقان لغة بلادهم ولغة سواهم جميعا !

وجميع الأمم الناهضة تفعل هذا فتنقل الى لغتها أهم ما فى اللغات الأخرى ، وتفسح المجال لدراسة لغتها القومية ولا تعلم اللغة الأجنبية إلا لفريق من أبنائها يتخصصون فى السلك السياسى والقنصلى والتجارى أو فى الترجمة والنقل .

ووزارة المعارف تستطيع أن تنظم حركة كاملة للترجمة على هذا الأساس ، بحيث تكون المكتبة العربية غنية بالمنقول اليها من جميع لغات العالم فى مدى عشر سنوات أو عشرين مثلا ، ولا نتكلف فى هذا إلا مبالغ يسيرة محدودة ، تشترى بها ثقافة العالم فى قرن من الزمان !

وإن أغنياءنا المثقفين ليستطيعون أن يساهموا فى هذه الحركة العلمية ويقرنوا أسماءهم اليها فتخلد هذه الأسماء كما خلدت أسماء الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ التى حفظها التاريخ مقرونة إلى تشجيع العلوم والفنون فى جميع العصور .

وجائزة أنطون بك الجميل نموذج لما يكون عليه التشجيع فى هذا المجال .

(٢)

وعلى ذكر الترجمة والثقافة نذكر حركة القراءة فى هذه الأيام ، وهى ظاهرة تبشر بالخير ، فلقد كان كسل القراء فى مصر مبعث شكوى الأدباء والمشفقين على النهضة العقلية فى مصر من الخمود ؛ والشعب الذى لا يقرأ كالفرد الذى لا يقرأ مصيره إلى الانكماش والخمول .

ولعلنا نظلم المتعلمين المصريين حين نأخذ عليهم عدم الميل إلى القراءة . فى حين أننا قتلنا هذا الميل فى نفوسهم منذ أن كانوا أطفالا فى المدارس . وذلك بالكتب المملة السقيمة التى نقدمها لهم ليتلقوا فيها دروسهم ، وهى خالية من كل ما يشوق ويحبب القراءة إلى التلاميذ .

إنها كتب جافة سقيمة طبعها خال من الجاذبية وموضوعاتها بعيدة عن عالم التلميذ ، ونظامها يدعو إلى السأم والملالة ، وإلى كراهية القراءة وإلى النفور من العلم إلا لضرورة الامتحان .

ومما يذكر أن بعض الكتب العامة التى خصصت للتلاميذ كان أصحابها قد طبعوها طبعة جميلة جذابة ، فلما قررت على التلاميذ طبعت " طبعة مدرسية " أى طبعة ثقيلة الظل ، آلية الشكل ، لا جاذبية فيها ولا فن ولا ذوق وبذلك تقف هذه " الطبعة المدرسية " بين التلاميذ وبين القراءة .

وكلمة مدرسية كافية لتفهم منها أن الكتاب صار مملا فى شكله يبدو عليه الوقار والتحفظ وينتفى عنه كل جمال وجاذبية ، كأنه حرام أن يكون شكل الكتب المدرسية جميلا جذابا .

وشكل الكتاب وجاذبيته وما يحويه من صور ومن نقوش وزخارف ذو شأن كبير فى استلفات نظر التلميذ الصغير وتحبيب القراءة إلى نفسه ، وهذا الميل هو الذى ينمو فيجعله قارئا فى المستقبل أو يضعف ويقتل فيصبح نافرا من القراءة والاطلاع كشبابنا المصريين .

فعسى أن تتغير هذه الخطة وتصبح كلمة " طبعة مدرسية " دليلا على أناقة الكتاب وجماله وجاذبيته ، حتى نخرج جيلا محبا للقراءة والاطلاع ، غير الجيل الذى قتلنا فيه كل ميل إلى رؤية الكتاب الثقيل .

(٣)

وبمناسبة الحديث عن القراءة والاطلاع نذكر أن هناك عائقا آخر عنهما فى خطة الدراسة فنحن لا نعنى بجعل دروس المطالعة ودروس الانشاء قطعا من الحياة النابضة المحيطة بالتلاميذ ، حتى نوقظ فى نفوسهم الاهتمام بها ، والشعور بأنها جزء من حياتهم وأنهم محتاجون إليه فى هذه الحياة .

ذلك أننا نترك وقائع الحياة كلها، وما يهم التلاميذ ويهم المجتمع ، لنلجأ إلى موضوعات تعليمية أو خيالية نحشو بها كتب المطالعة وندير عليها دروس الإنشاء، فيركز فى نفس التلميذ أن هذه الدروس إنما هى للمدرسة وللامتحان فقط ، ولا علاقة لها بالحياة التى يعيشها فى خارج المدرسة .

وإن جميع الدروس فى المدرسة لتشترك فى هـذه الغلطة ، غلطة الفصل بين المدرسة والحياة ، وبين الدرس والواقع ، فتزدوج حياة التلاميذ : شطر منها للمدرسة وشطر منها للدنيا ولا جامعة بين الشطرين . ويخسر الولد بهـذا الوضع كل ما قضاه فى المدرسة من سنوات عزيزة .

ولكن دروس المطالعة ودروس الإنشاء تزيد فى البعد عن الحياة واجتناب كل ما فيها ، لتعنى بما لا يقع فى عالم التلميذ ولا يتفق مع بيئته ولا مع خياله ولا مع اهتمامه .

وينشأ عن هذا أن يكره التلميذ هذه الدروس ويكره معها الأدب والاطلاع ، ويكره كل ما يذكره بدروس الإنشاء التى هى كلام فى كلام .

(٤)

وبينما تقع الجفوة بين المتعلمين وبين الاطلاع الجدى ، نراهم يتهافتون على الوريقات الهزيلة سواء كانت مجلات هازلة أو روايات هابطة أو كتبا مستهترة ويجد أصحاب هذه المجلات والروايات والكتب أنهم يربحون ، فيزيدون فى استثارة غرائز الجمهور المنحطة بحجة أنهم يصورون البيئة .

واستثارة الغرائز عملية رابحة سواء أكانت عن طريق النشر والتصوير أم عن أى طريق آخر من أحط الطرق فى الحياة . فإذا جاز لمن يسلك هذه الطرق المنحطة أن يحتج بأنه يجد "زبائن" فإنه لا يجوز لمن يسخرون أقلامهم فى هـذا الدنس القذر أن يحتجوا بهـذه الحجة الواهية .

الجمهور فى كل زمان ومكان يستجيب لمن يستثير أسفل غرائزه وشهواته ، ولكن هذا لا يجعل من يثيرون هذه الغرائز معـذورين أو محترمين . والتحريض على الفسق فى الطريق العام جريمة يعاقب عليها القانون . فماذا يصنع كثير من المجلات والكتب فى هذه الأيام إلا أن يرتكب هذه الجريمة ثم يحاول أن يعتذر عنها بأن هذا هو طلب الجمهور .

الجمهور دائما على استعداد أن يقبل على هذا الدنس ، فهل يبيح إنسان لضميره إذن أن يلبى هذا الاستعداد ، وأن يتخلص من كل لوم أو عتاب بأن هذا هو طلب الجمهور ؟

وإذا كان هؤلاء المستربحون القذرون يجدون الربح فيما ينشرون ، أفلا يجب أن تصان أخلاق الشعب من هذا الاسترباح الذميم ؟

نترك ذلك للجنـة المحافظة على الآداب ونرجو أن يكون لهـا قرار حاسم ضد هؤلاء المستربحين .

قصة اجتماعية

ثمن الشهرة

" عن الانجليزية "

كان ذلك عقب تخرجنا من الكلية ، عند ما دعوت إلى منزلى زميلتى " إينا الدرج " و" جنفر باورز " ، وساقنا الحديث إلى المستقبل ، وكان الكلام عنه طبيعيا فقد تعودنا أن نبحث الموضوع قبل أن تبدأه أى واحدة منا ، وكانت نشأتنا فى قرية " وسمورلاند " الهادئة تجمع بين عواطفنا وقلوبنا ، وكانت الواحدة منا تتمنى لمجموعتنا مثل ما تتمنى لنفسها ، وكان مجرد فكرة انفصالنا بحكم ظروف المستقبل تثير فى أنفسنا ألما دفينا ، وحزنا عميقا .

" لندن " . . . انطلقت هذه الكلمة من فم " إينا " فى شىء من المرح والشوق والتمنى ثم قالت : يالها من مدينة رائعة . . . لقد كدت أطير فرحا حينما وعدتنى عمتى بقضاء عام عندها فى لندن . . . ، إننى أتخيل الحفلات العامرة والنوادى الليلية والمسارح الفخمة حيث تعج بكثير من الرجال . . الرجال الأغنياء ، سأتزوج أحدهم ولسوف يتلألأ اسمى فى النوادى الاجتماعية . وسأقتنى المجوهرات النفيسة والفراء الفاخر ، وأحيط نفسى بجيش من الخدم والحشم .

وبغتة قفزت زميلتنا "جنفر" من مقعدها قائلة وهى تتخذ سمات الجد : أما أنا فلسوف أصبح أعظم ممثلة عرفها المسرح ، وفى يوم ما ستقولين يا " إينا " لزوجك الثرى "إنى أعرف النجمة الساطعة "جنفر باورز" . ثم اتجهت نحو المرآة رافعة رأسها مزدهية بشعرها الأحمر الفاتن الذى يحيط برأسها ويزيدها فتنة وحلاوة ، وقد تألقت عيناها الخضراوان وكأنما سبحتا فى سماء المستقبل اللازوردية . ثم قالت فى تأكيد "سأكون نجمة متألقة" . ثم مالت لتتناول قطعة من الحلوى واستطردت قائلة وهى تنظر إلى : أما أنت يادودى فما عساك تتوين عمله ؟ . فأجبت قائلة : ليست لى عمة مثرية مثل إينا ، ولست أملك المواهب التى تؤهلنى لأن أصبح نجمة متألقة مثلك ، فليس أمامى إذن سوى المكث هنا وتلهفى على ما قد ترسلانه لى من رسائل . وعند ما تبلغان ذروة الشهرة والمجد سأقول مفاخرة بكما . . . " لقد عرفتكما فى يوم من الأيام " .

ولكن "إينا" التى لم يعجبها قولى هتفت قائلة : أنت فى منتهى الغباء ! لماذا لا تقبلين دعوة عمتى لك وترافقيننى ؟ ولم تدفنين نفسك فى هذه البلدة العابسة؟ هيا تعالى معنا وابحثى عن واحد من أصحاب الملايين .

وفى طريق إلى منزلنا قابلت " بيتر" وحدثته عن مطامع " إينا " وأحلام جنفر ، ولا ريب أنه استشعر منى حسدا لهما فقال لى :

كان يجب أن ترافقيهما فانت أنشط وأذكى من جنفر كما أنك أجمل وأفتن من إينا .
فقلت له :

هناك ما يمنعنى من الرحيل ، فإن علاقتنا ليست علاقة خاطب بخطيبته ولكنها صلة نبتت مع الطفولة وترعرعت فى الصبا وستزدهر فى مقبل الأيام .

فأجابنى بتأثر : دودى ، أن كل ما يمكننى أن أمنحك إياه من الحياة هو أن تكونى زوجة فلاح : سيكون ذلك شاقا عليك ياعزيزتى وربما لانكون أغنياء أبدا ، فقلت : يكفينى من الغنى والثروة سعادة كل منا بجانب الآخر .

كتبت إلى صديقتاى كثيرا فى بادئ الأمر وكانت رسائلهما مسهبة . حافلة بأخبار المجتمع اللندنى وبالأشخاص الذين يقابلونهم إلى غير ذلك من الأشياء التى تحسها فتاة الريف عندما يبهرها وهج المدينة . وفى نهاية خطاباتهما كانتا تسألانى عما اذا كنت غيرت رأيى أم مازلت مصرة عليه ؟

كنت فى قريتى أسعد حالا فى نظر نفسى فقد ربحت عدة صفقات من محال الأزياء وبعض الأشغال اليدوية الأخرى ، وكادت سعادتى تفوق أى سعادة فى العالم عندما هرع إلى بيتر يزف إلى بشرى ابتياعه إحدى المزارع الصغيرة وكان عقد الملكية يساوى فى نظرى أثمن تيجان العالم ، فكيف بآمال " جنفر " ومطامع " إينا " .

تقدم بيتر يطلب يدى فقبلنا وقلت له وأنا ألوح له بعقد المزرعة " سأتعلم كيف أحلب بقرتنا و ... ... " فقال :

سوف لاتقومين بشىء من هـــذا أبدا ، سأؤدى أنا كل شىء ، وكل ما أرجوه عند أوبتى من الحقل أن أجد فى انتظارى قلبا حنونا يقدر جهدى ويسعى للتخفيف عنى .

وبعد شهر تنبهت على صوت الكاهن وهو يقول لنا ساعة العقد "إلى أن يفرقنا الموت" ولكنى كنت واثقة أن الموت نفسه لا يقوى على التفرقة بينى وبين بيتر .

لم نجعل لرحلة شهر العسل أهمية من زواجنا ، فقد كانت كل أيامنا الأولى شهدا لايتذوقه إلا السعداء القانعون ، وكان كل يوم يمر علينا سعادة جديدة فكان بيتر يؤدى عمله فى الحقل وكنت أنا أتم عملى فى المنزل من طهى إلى تنظيف ، وإذا حان موعد أوبته هرعت إلى النافذة أرقب طريقه ثم أهرول لأستقبله ، وأنا بين كل هذا سعيدة كل السعادة .

وقالت جنفر : نعم يادودى يجب أن تذهبى إلى لندن وهناك تنتهجين الطريق الذى يحلو لك فى الحياة ، فليس لزاما عليك أن تتزوجى المال فحسب .

لم أكترث لحديثهما أكثر من ذلك فقد سمعت صوت خطيبى ورفيق طفولتى " بيتر " فأسرعت إلى النافذة أشير له بيدى محيية وهو يبتعد بعربته الصغيرة .

ولما عدت إلى مكانى رأيتهما يتبادلان النظرات وقد هزت إحداهما رأسها، وأمنت الثانية على ذلك بهزات متتابعة من كتفيها .

كانت نظراتهما واضحة المعنى مفهومة المعزى ، فهما ترثيان لحالى وضياع مستقبلى ، فكدت أخرج عن طورى وهما يريان فى هذا الرأى وصحت بهما :

— لست أريد مليونيرا ولست أطمع فى شهرة ، إننى هنا فى أوج السعادة ، فقالت إينا " انتظارا لبيتر خطيبك عندما يقتنى ثروة تمكنه من زواجك ، و بعد ذلك تزورين معه فى إحدى القرى حيث تتطلعين إلى ازدياد المحصول ليمكنك الحصول على ثوب جديد .

وقالت جنفز :

— ليس من العدل فى شىء أن تقللى من قيمة نفسك فى نظر نفسك ونظر الناس أنت فى شرخ الشباب ونضارة الصبا ، والمستقبل يضمن لك عيشا أسعد من عيشك هنا ، وفى لندن ستقدمين إلى رجال أثرياء لاشك سيتمنون زواجك و إحاطتك بمختلف ألوان السرور والرفاهية ، وليس هناك ما يرغمك على البقاء هنا ، كما أنك لست من الفتيات اللاتى يقعن فى شراك الحب حتى تتعلق بالبقاء منتظرة مستقبل بيتر المجهول .

عندئذ تطلعت إلى الخاتم البسيط الذى أهدانيه خطيبى بيتر ، فأعاد إلى ذاكرتى صورته المهذبة النقية المخلصة فقلت فى هدوء :

لو اجتمع زين الرجال فى صعيد واحد ، هم وأموالهم وآمالهم لأعرضت عنهم ومضيت أفتش عن خطيبى الطيب القلب بيتر . فلا فائدة من استمالة رأسى ، فلن يمكن لأى قوة فى العالم أن تغير رأيى ، لننتقل إلى موضوع آخر فمن العيب الاستمرار فى موضوعنا هذا . ثم أدرنا دفة الحديث فى شتى الموضوعات ، وانصرفنا بسلام ، بعد ذلك لم تمكثا بالقرية طويلا فقد رحلنا بعد أسبوع إلى لندن وقد ودعتهما إلى محطة القطار ، و بعد أن تحرك صاحت " إينا " :

— اذا غيرت رأيك فسنكون بانتظارك على الرحب والسعة .

و بعد مدة قصيرة قرأت نبأ زواج " إينا " من المليونير " دنس بارون " وقد نشرت الصحف صورتهما ، وقد أرسلت لى إينا رسالة من الريفيرا حيث تقضى شهر العسل .

أما جنفر فإن جمالها وفتنتها ومقدرتها قد جعلت لها مكانة مسرحية تنبىء بمجد عظيم ومستقبل زاهر .

ظلت الصديقتان تكتبان لى بعد ذلك فى فترات متباعدة ، عن أخبارهما ، فإينا تحدثنى عن حفلاتها ومعارفها وأصدقائها وجنفر عن عظمتها ومجدها وروايتها الجديدة ، أما أنا فقد أضاع الجفاف المحصول الأول الذى كنا نرجوه ، وقد حركت هذه العوامل فى نفسى شعور الحسد والكراهة لزميلتى رغما عنى ، والظاهر أن هذا الشعور طبيعى فى البشر ذوى الطبيعة

الطلبلية . أما بيتر فكان يعمل بجد ونشاط ،وكان تجلامنى فى أشد حالات الارتباك لضياع المحصول ، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل ! !

وفى مساء يوم شديد الحرارة بينما كنا نترقب لفحات النسيم فى الحديقة قال لى بيتر : كنت أتمنى أن أوفر لك الراحة والسعادة ، ولكن هذا الجفاف أفسد على متمناى . . ولكن الحزن عقد لسانى فلم انطق ببنت شفة كما يقولون، و بعد برهة قلت له "لانيأس ياعزيزى، يجب أن ننتظر ونأمل خيرا فى العام المقبل ".

ولكن الشتاء التالى أتى ومعه برده القارس ، وثلجه المتساقط الذى يرأ الأبدان و يقلص الأطراف ، الريح تعصف والطبيعة تثور ، والعواصف تزأر حول منزلنا كالحيوان الهائج ، وليس عندنا ما يقينا شر البرد ، ولا ما يقينا مطالب البدن .

وكان بيتر لا يفتأ يتحدث عن المستقبل وآماله فيه وما ينتظره على يديه ، وكنت وهو يحدثنى بآماله أو أوهامه أنظر بحزن للخطابين اللذين وصلانى من جنفر و إينا ، فالأولى تحدث فيه عن فروها الجديد . والاخرى عن مجدها التليد .

أطبقت شفتى خوفا من أن أنبس بشىء أندم عليه فى المستقبل وقلت لنفسى وأنا حزينة يائسة :

سيكون العام القادم أحسن من سابقه ولا شك .

ولكن جاء العام القادم وتكررت معه مأساة سلفه ، وحاولت أن أتجمل كالماضى فلم أستطع وعجزت عن المقاومة ، وكنا فى المطبخ وهو الغرفة الدافئة نوعا فى الدار فقلت لبيتر بجأة و بلا مقدمة :

« بيتر ... سأذهب إلى « اندن » ... وساد صمت رهيب قطعته بقولى : لقد دعتنى « إينا » ... ويجب أن أذهب" .

كانت نغمة اليأس التى تشيع فى صوتى أدهشتنى ، فأمسكت ، أما بيتر فقد نظر إلى بدهشة ، وقد سقطت من يده المجلة الزراعية التى كان يطالعها ، وابيض وجهه حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ، لكنه ظل صامتا . فقلت :

« إنى آسفة » ... قلتها وأنا أكاد أختنق « لقد حاولت ... وانتظرت ... وتجنبت ولكن بلا جدوى ... فالحال هو هو ... والحظ هو هو ... وكرت أعوام ثلاثة لم يتزحزح الحظ عن موقفه قيد أنملة ... فعجزت عن المقاومة ... وسئمت الوحدة والعزلة ، وأريد أن أتمتع بالحياة الحقيقية الحياة الحافلة بالمسرات النابضة بالمرح واللهو . أريد أن أرى السهرات الليلية والرقص حتى الفجر، أريد الملابس الحريرية الزاهية والجواهر الساطعة والفراء الثمين الدافىء ... أريد كل هذا ولست أريد أن أفكر فى إصلاح السقف وانتهاء الوقود ونفاد المسلى ووو الخ من هموم الحياة ... إنى أريد تلك الحياة ... أريد الحياة الحقيقية ... » وساد

الصمت بيننا، وكان يخرجنا عنه صوت نيران الموقد وهى تخرج ألسنة من اللهيب تتراقص كالشياطين والأبالسة ... فتخيلت المواقد الكهربائية ، والثلاجات الفخمة والعربات الفارهة التى تسير فى الشوارع فتخطف ببريقها وسرعتها الأبصار، بدلا من تلك التى تتعب أكثر مما تريح . ونحن كلما دبرنا شيئا من المال نجد أن أمامنا بقرة مريضة تحتاج إلى الطبيب والدواء أو نجد المخزن فى احتياج إلى إصلاح او نجد الجليد ينهمر ليلا فيقسو علينا العمل المتواصل فى الزراعة منذ شهور عديدة" .

كان بيتر ينظر إلى بعينين يائستين وهو صامت فلم أتمكن من تحمل هذه النظرة فذهبت إلى النافذة وهناك رفعت عينى على تلك المزرعة الجدباء من تأثير البرد القارس وتذكرت كيف يظل بيتر منهمكا فى الزراعة أثناء الربيع حتى تخور قواه ثم يكون المحصول كما كان فى الأعوام السابقة فتتلاشى كل الأمانى والآمال العذبة التى كانت تداعب خيالى . قال بيتر وقد وقف بجانبى ووضع ذراعه حول وسطى "دودى" إنى أعرف ياعزيزتى ما أنت فيه من الشقاء ولكن لا تذهبى فكل شىء سينفذ .

— هذا ما كنت تقوله دائما ... بيتر تعال معى إلى لندن وهناك نجد عملا يدر علينا شيئا من المال .

— إنك تعلمين أن هذا هو المستحيل فإنى لا أجيد شيئا سوى الزراعة وبجانب ذلك ليس من السهل أن أجد عملا هناك . أما هنا فعلى الأقل لنا منزلنا ولنا ما يكفينا من الطعام.

— لنا منزلنا الذى تتجمد فيه من شدة البرد ونحترق من الحر . علام يجب العيش هنا أنظر إلى إنى فى الثانية والعشرين وكأنى قد بلغت المائة .

بيتر إننا سنقتل انفسنا فى مزرعتك العزيزة.

— ولكن حظنا سيتغير يا دودى .

إنى أعلم أنه لا يمكننى أن أقاوم نبرات صوته أو لمس يده ولذلك ابتعدت عنه قائلة سأذهب فالنقود التى أخذتها من والدتى ووالدى فى رأس السنة كافية لأن أذهب إلى لندن.

ولكن أجرة العودة ؟

سوف لا أحضر ثانية ...

ولكنى ندمت على ذلك فلم أكن أقصد معنى هذه الكلمات ولم أكن أتعمد النطق بها ولكنها اندفعت من فمى دون أن أشعر وذلك بدافع السنين التى مرت فى ضنك وعناء . وقلت متابعة "سأجد عملا فى لندن فإن لم تنتهز الفرصة معى فسأنالها بمفردى فأى عمل خير من المكث هنا .

وكان يبدو عليه كأنه طعن طعنة نجلاء، وقد أحببت أن أرتمى بين ذراعيه وأسأله المغفرة ولكنى تفوهت بما لا يحق لى أن أنطق به فعزيت نفسى بقولى إنه قاس و إنه محب لنفسه. ولو كان يشعر بشىء من الحب نحوى لعمل على إخراجى من هذه المزرعة .

إذن إذن هذه هى النهاية يا دودى ؟

نعم إذا كنت لا زلت متمسكا بمزرعتك. ولم أكن أسمع سوى صوت الرياح وضربات قلبي حتى قال بيتر :

"حسنا . وأنا ليس لى الحق فى أن أسألك وأطلب إليك المكث هنا إذا كنت قد كرهتنى . ولكن تذكرى شيئا واحدا وهو انى سأحبك دائما" .

"إنى أحبك أكثر مما تتصور يا بيتر ولكنا اومكثنا هنا فلا شك أنه سيكون كل منا للآخر" ...

إنى لن أكرهك أبدا وقد علمت الآن انه ما كان لى أن أتمسك بك . وبالرغم من ذلك . عندى قليل من النقود ربما تحتاجين إليها هناك ... كلا ... لا تجادلى (قال ذلك لأنه يعلم أنه قد اقتصد شيئا من المال لشراء بذله جديدة هو فى حاجة إليها) هذا آخر ما يمكننى عمله وإنك أنت ولا شك تريدين أن تحزمى أمتعتك .

ووصلت فى قطار الصباح الى لندن وفى الدقيقة التى تحرك فيها القطار رأيت بيتر واقفا وحده فهزتنى رعشة من الخوف وتخيلت الحياة من غيره وحرمانى من جلساته الهادئة ولكنى عدت أتذكر سقوط الجليد فرأيت أنه من الواجب والصواب أن أرحل بعيدا فتمالكت شعورى ونطقت كلمة الوداع .

لم يسبق لى أن قمت برحلة طويلة كهذه ، ومع ذلك كنت قد أرسلت تلغرافا الى إينا التى انتظرتنى على المحطة .

نادتنى بعد أن طرحت قراءها الفاخر حول كتفى . عزيزتى . إنى سعيدة بأن أراك ثانية ... ثم قالت وهى تلتفت الى سائق عربتها : لورنج خذ حقائب مدام . برادنتج .

معى فقط هذه الحقيبة. رفعت إينا حاجبيها فى دهشة ولكنى لم أحفل بذلك فقد كنت فى غيبوبة حيث أجد نفسى فى لندن . وفى منزل إينا خصصت لى حجرة بها أثاث فاخر أغرانى بأن أرتمى على أحد كراسيها المريحة وأنا فى دهشة أنقل بصرى بين ستائر النوافذ الفاخرة الموشاة بالذهب وذلك السجاد المصنوع من الصوف الأبيض وهذا السرير العظيم الذى لا تتسع له حجرتى الحقيرة فى منزلى الصغير . قطعت على إينا نظراتى بقولها . إن أول شىء تعملينه الآن هو أن نستدعى سلتين تعنى بشعرك وجلدك وأظافرك . حقيقة يادودى لقد أسأت معاملة نفسك .

لم أغضب لصراحتها ولكننى قلت فى هدوء "ليس فى المزرعة متسع من الوقت للتجميل".

"مسكينة يا دودى . لا بد أن الحياة هناك كانت لا تطاق" .

"بل العكس ياعزيزتى إنها أوقات جميلة هانئة تلك التى كنت أتريض فيها مع بيتر على شاطئ البحيرة وعندما نعود إلى المنزل على عربة التبن تحت أشعة النجوم الساطعة" .

"ستقضين أوقاتا جميلة هنا، وستكونين فى ضيافتى مدة طويلة قبل أن تبحثى عن العمل الذى تقولين عنه" .

"اتكأت على الوسادة اللينة وقلت لها : وهكذا تحقق حلمك فهل أنت فى منتهى السعادة يا إينا".

"طبعا سعيدة والآن سأتصل بالتلفون بصديقاتى كى يحضرن الليلة".

" جنفر أيضا " .

"نعم ولكن من بعد انتهاء عملها فى المسرح . ولكن ربما لا تسرين منها الآن فقد تغيرت بعض الشيء" .

وانقضى عصر ذلك اليوم فيما قامت به سلتين من الاعتناء بى واستعمال الكريم والروائح . ولكن لم يكن عندى ملابس مناسبة أحضر بها الحفلة . فأعارتنى إينا بعض ملابسها . وبعد أن انتهت سلتين من عملها وقفت أمام المرآة فى دهشة عظيمة فقد بدا شعرى اللامع الموج مسدولا على كتفى . والثوب القرمزى قد جعل منى تحفة نادرة . وكان فى عينى بريق عجيب وعلى شفتى ابتسامة هادئة . أما إينا فقد نظرت نظرة ذات معنى وقالت فلنتزل الآن فإن دانس يريد مقابلتك . كان دانس بادنا أسمر اللون طويل القامة وقد بدت عليه علامات الهدوء وغمرنى بنظرة غريبة لم أفهم معناها .

" أهذه هى صديقتك الريفية ؟ " قال ذلك وقد أمسك يدى مدة أطول من اللازم .

"لم تقولى لى يا إينا انها جميلة إلى هذا الحد" .

اقترب منى الرجال الآخرون وإنى أعلم أن النساء قد كرهننى . ولكنى كنت فى شعور آخر تحت تأثير ما كان يهمس فى أذنى من كلمات أثناء الرقص . وقد رقص دانس معى عدة مرات حتى بدأت أسترق النظر إلى إينا التى كانت منسجمة مع رجل آخر ولكن نظرها كان متجها إلينا فى كل لحظة فقال دانس . انك لازلت طفلة رعديدة . . . لا تعبئى بإينا فإنى لا أهتم بها وقبل أن أجد إجابة لذلك رأيت جنفر وقد رفعت رأسها عاليا وكانت ملابسها الموشاة بالذهب تلمع تحت ضوء البهو وأخذت تخطو كأنها أميرة صغيرة . قالت بصوتها الموسيقى النبرات " دودى" . وأخيرا حضرت إلى لندن ؟ إنى كنت واثقة من أنه سوف لا يمكنك البقاء فى المزرعة" .

لقد كنت مشتاقة لحديث طويل مع إينا وجنفر ولكنى لم أتمكن من ذلك فى هذه الليلة فقد كانتا محاطتين بالرجال وكذلك أنا لم أحرم من الأصدقاء . فكم هو رائع أن أشعر بالمرح والسرور والشباب مرة اخرى .

مرت الأيام فى المسارح والنوادى الليلية وحفلات الرقص حتى الفجر والأضواء والموسيقى والملابس الفاخرة فلا عناء فى التفكير فى مخازن الغلال أو كمية الفحم بل مرح وتمتع للنفس .

"إنك كالطفلة فى حفلة عيد الميلاد" . هذا ما قاله لى فى الشرفة بينما كان الآخرون يرقصون داخل البهو فى منزل أحد الأصدقاء وكان قد سار بى إلى هذه الشرفة ليريني أنوار لندن .

"إن عندك من الوقت ما يجب أن تنتهى به . ألا تعرفين أنه من الواجب أن تأملى فى كل شيء" .

"ليس لى أن آمل فى شىء أكثر من ذلك . إنى أقضى وقتا سعيدا هنا وكل شخص أمامى فى غاية الظرف" .

"إن من الواجب أن يكون الانسان ظريفا معك يادودى" .

كان وجهه قريبا من وجهى حتى أنى شممت رائحة الوسكى منه فأدرت وجهى بعيدا عنه ولكنه أمسك بذقنى ودفع وجهى نحوه . "انك رائعة يادودى . سوف لا تفودين إلى ذلك الفلاح وسوف لا أدعك تبحثين عن عمل هنا . كم أحب أن يكون فى منزلى فتاة جميلة ذات عين فى جمال عينك" .

"دانس . لا تقل ذلك". وحاولت أن أضحك "إنك طبعا لست جادا فى حديثك. أظن أنه يجب أن أدخل الآن . . . "

كانت ذراعاه حولى فنظرت إلى وجهه ولمحت البريق الغريب فى عينيه والتصقت شفتاه بشفتى فى عنف بغيض ولم يمكننى أن أتحرك مدة وجيزة تمكنت بعدها من أن أدفعه بكل ما أوتيت من قوة وأن أصرخ فيه . كيف تجرؤ على ذلك إن إينا صديقتى .

" لا توهمى الناس أنك جميلة وبريئة " ثم قال ضاحكا وفى عينه نظرة مخيفة . "لقد تركت زوجك . أليس كذلك ؟ حسنا وبعد هذا لا تكلمينى أنا عن الاخلاص" .

ثم حاول أن يجذبنى إليه بوحشية مخيفة وهو يقول "أحببتك أيتها التعسة بعد ما كرهت إينا الضعيفة الحائرة" .

إينا الضعيفة الحائرة قال هـذه الكلمات بصوت جنونى مرتفع قطع عليه كلامه فقد وجد إينا أمامنا وكان وجهها ممتقعا وعيناها غائرتين وفى يدها مسدس أشارت به إلى قلب دانس . لقد قاومت بقدر ما أمكننى .

همست إينا قائلة "كنت مصممة ألا أهتم بك بينما كان كل أصدقائنا يسخرون منى ويشفقون لحالى" .

قال دانس وقد جمد فى مكانه من شدة الفزع .

"إينا . أخفضى هذا المسدس" .

"لقد كنت فى منتهى الغباء . فى منتهى الغباء ! ! هذا ما كنت تعمله منذ زواجنا ولكنى سوف لا أدعك تستمر فى ذلك فإنى سأقتلك ثم أقتل نفسى . إنك خائف من أن تموت . أليس كذلك؟ أما أنا فلست خائفة وسأموت على أى حال وقد أمتنى أنت منذ ثلاث سنوات".

وقد لاحظت عليها أنها ستنفذ مهمتها فقد نسيتنى هـذه اللحظة ثم ضغط أصبعها على الزناد فارتميت عليها وخرجت الرصاصة حينما دفعت يدها الى أسفل فأصاب المقذوف أرض الشرفة . ثم حملقت إينا إلى و إلى دانس و إلى المسدس الذى كان لا يزال يدخن فى يدها

ثم ارتمت على الأرض وحينئذ ظننت أن الناس سيخرجون على صوت الطلقة ولكن الموسيقى والضحكات كانت حائلا بين سماعهم لصوت المقذوف .

وهزتنى رعشة قوية فإن هذه هى الحياة التى طالما أردت أن أعيشها حياة المرح والسرور ولكنها تحوى فى أعماقها أشياء مفزعة كالبحيرة الجميلة ذات القاع الملىء بالطمى والأشواك . ولما انحنى دانس ليرفع إينا تسللت إلى الخارج ثم ذهبت إلى حجرتى فى منزل إينا وجسمى يرتعش فأخذت حقيبتى وذهبت الى جنفر .

"قالت متعجبة حينما رأتنى . دودى إنك شاحبة كالأموات . ما ذا جرى ؟ " .

قلت : جنفر أيمكننى أن أبيت معك ؟

"بكل تأكيد" .

لم تسألنى أسئلة أخرى ولكنها وضعتنى فى الفراش كأنى طفلة صغيرة ثم سمعتها تحدث ضيفها وسمعته يحتج ولكنه رحل أخيرا .

"والآن لماذا كل هذا" . قالت ذلك وقد جلست بجانبى على السرير بينما كنت أشرب ما أحضرته لى من اللبن الساخن .

"لا يمكننى أن أقول لك" .

إذن فهو دانس . إنى أعرف أن هذا كان سيحصل حتما . لقد كانت إينا غيبة لزواجها منه فقد كانت تعرف سمعته ولكن كان مقدرا أن تكون غنية وأن تظهر فى الأوساط الاجتماعية ولكنها الآن تدفع ثمن تحقيق حلمها ثم أخذت من يدى الفنجان الفارغ ووضعته على المائدة بجانب السرير ، وكانت على هذه المائدة صورة رجل فى مقتبل العمر يبدو عليه سيماء الثراء فاحمر وجه جنفر حين رأتنى أنظر الى الصورة ولكنها لم تعقب على ذلك .

أتذكرين ذلك اليوم الذى كنا نتحدث فيه عن مستقبلنا فى منزلك . لقد حصلت إينا على رجل غنى ونلت أنا الشهرة . وتزوجت أنت بيتر وانظرى إلينا الان .

قلت وأنا أنظر الى الصورة ولكن !

هذا ما أعنى لقد أحببت ميشيل ولكنه كان فقيرا وليس له أى تأثير فى المسرح وكانت لى الموهبة ولكنها ليست كافية لنظهر فى الأفق إلا بعد عدة أعوام ولكنى أردت أن يتحقق حلمى سريعا فلذا تركت ميشيل وأسلمت نفسى الى جون ، وهذا هو السبب فى أنى بلغت القمة فى هذا الوقت القصير .

أوه جنفر !

كانت فى أثناء حديثها بائسة كفتاة فقدت أعز شىء لديها . ولكن حينما تنبهت لصوتى تغيراونها وكساه قناع الكبرياء الزائف وستار التصنع الذى كانت تلبسه دائما لتخفى حقيقتها .

"لقد دفعنا ثمنا باهظا لتحقيق أحلامنا فقد ضحيت أنا و إينا باحترامنا أمام الناس . أما أنت فتدفعين ثمن حلمك التعب فى المزرعة ومع ذلك تظنين أنه ثمن باهظ . إنك لست سوى غنية صغيرة" .

دفنت وجهى بين يدى وانهمرت الدموع من عينى فأحاطتنى جنفر بذراعيها و بعد برهة انقشع قناعها وقالت . "عودى الى بيتر واشكرى الله أن جعل لك من تذهبين اليه . إينا لم تحب أحدا حقيقة أما ميشيل فقد وجد أخرى . ولكن لا بد أن نستمر فى الطريق الذى اخترناه وكذلك أنت ولكن يادودى ... إن طريقك أحسن من طريقنا" .

"ربما ... أوه جنفر ... ربما وجد بيتر كذلك فتاة أخرى" .

"لماذا لا ترحلين فى قطار الصباح . ولكن تذكرى أن أى مشقة هناك لا تعتبر تعبا فاعملى حتى تموتى . قالت ذلك بمرارة ويأس .

ودعتنى جنفر فى قطار الصباح وسافرت الى وستمورلاند وكنت أنا فى القطار أفكر فيما أفعله اذا أعرض بيتر عنى . ولما وصلت وجدت بيتر وفى عينه بريق الحب والأمل .

قال وقد أخذنى فى لهف بين ذراعيه . أوه دودى جنفر أرسلت لى تلغرافا أنك ستحضرين . . . ولكنى لم أكد أصدق . عزيزتى لقد حرمت منك طويلا .

"أوه بيتر . سامحنى لقد كنت غبية" .

بل أنا الغبى سأبيع المزرعة ونذهب إلى لندن .

لا . سنمكث هنا فى مزرعتنا . فلن تهمنا الصعوبات ولا تهمنا الحراراة ولا البرودة ولا الحشرات و إن كان كل ذلك فأمامنا أعوام أخرى ولا يمكن أن ننفصل ما دام كل منا يريد الآخر .

نظر إلى كأنه قد فتحت أمامه أبواب الجنة وشعرت أنا بالعظمة والسعادة معه فقلت . فلندع اسم إينا ينشر فى أعمدة الاجتماعيات ولندع اسم جنفر يكتب بالأنوار الكهربائية . أما أنا فاسمى محفور على قلب الرجل الذى أحبه .

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم السبت ١١ رمضان سنة ١٣٦٢
(الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٣) ما
مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى